فَصْلٌ

رد دعوى النصارى أن الإسلام عظم الحواريين

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: وَحَوَارِيِّيهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ إِلَيْنَا أَنْذَرُونَا بِلُغَتِنَا وَسَلَّمُوا لَنَا دِيْنَنَا الَّذِينَ قَدْ عُظِّمُوا فِي هَذَا الكِتَابِ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحَدِيد: ٢٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].

فَأُعْنِيَ بِقَوْلِهِ: أَنْبِيَاءَهُ الْمُبَشِّرِينَ وَرُسُلَهُ يَنْحُو بِذَلِكَ الحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ دَارُوا فِي سَبْعَةِ أَقَالِيمِ العَالَمِ وَبَشَّرُوا بِالكِتَابِ الوَاحِدِ الَّذِي هُوَ الإِنْجِيلُ الطَّاهِرُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ عُنِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَدَاوُدَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ لَكَانَ قَالَ: مَعَهُمُ الكُتُبُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَاءَ بِكِتَابٍ دُونَ غَيْرِهِ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا الكِتَابَ الوَاحِدَ؛ لِأَنَّهُ مَا أَتَى جَمَاعَةٌ مُبَشِّرِينَ بِكِتَابٍ وَاحِدٍ غَيْرَ الحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ أَتَوْا بِالإِنْجِيلِ الطَّاهِرِ وَجَاءَ أَيْضًا فِي الكِتَابِ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يَس: ٢٠].

يَعْنِي الحَوَارِيِّينَ لَمْ يَقُلْ رَسُولٌ إِنَّمَا قَالَ: الْمُرْسَلِينَ وَالجَوَابُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا ذُكِرَ وَلَا فِي غَيْرِهِ مَا يُوجِبُ تَكْذِيبَ الرَّسُولِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَى غَيْرِكُمْ وَتَمَسُّكَكُمْ بِدِينٍ مُبَدَّلٍ مَنْسُوخٍ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا يُعَظَّمُ بِهِ مُوسَى وَالتَّوْرَاةُ وَمَنِ اتَّبَعَ مُوسَى مَا يُوجِبُ لِلْيَهُودِ تَكْذِيبَ الرَّسُولِ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَتَمَسُّكَهُمْ بِدِينٍ مُبَدَّلٍ مَنْسُوخٍ.

الثَّانِي- أَنَّ قَوْلَهُمْ: وَلَا نَتَّبِعُ غَيْرَ المَسِيحِ وَحَوَارِيِّيهِ قَوْلٌ بَاطِلٌ، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا مُتَّبِعِينَ لَا لِلْمَسِيحِ وَلَا لِحَوَارِيِّيهِ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا- أَنَّ دِينَهُمْ مُبَدَّلٌ لَيْسَ كُلُّهُ عَنِ المَسِيحِ وَالحَوَارِيِّينَ بَلْ أَكْثَرُ شَرَائِعِهِمْ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهَا لَيْسَتْ عَنِ المَسِيحِ وَالحَوَارِيِّينَ.

الثَّانِي- أَنَّ المَسِيحَ بَشَّرَ بِأَحْمَدَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّفّ: ٦].

فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعُوا أَحْمَدَ كَانُوا مُكَذِّبِينَ لِلْمَسِيحِ وَعِنْدَهُمْ مِنَ البِشَارَاتِ عَنِ المَسِيحِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ بِأَحْمَدَ مَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَإِنَّمَا المَقْصُودُ هُنَا مَنْعُ احْتِجَاجِهِمْ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَبَيَانُ أَنَّهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ فِي بَعْضِهِ حُجَّةً لَهُمْ.

الثَّالِثُ- أَنَّ قَوْلَهُمْ عَنِ الحَوَارِيِّينَ: أَنَّهُمُ الرُّسُلُ الَّذِينَ عُظِّمُوا فِي هَذَا الكِتَابِ قَوْلٌ بَاطِلٌ فَسَّرُوا بِهِ القُرْآنَ تَفْسِيرًا بَاطِلًا مِنْ جِنْسِ تَفْسِيرِهِمُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالنَّصَارَى. وَتَفْسِيرُهُمْ بِإِذْنِي أَيْ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّاهُوتِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ المُتَّحِدَةُ فِي النَّاسُوتِ. وَتَفْسِيرُهُمْ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البَقَرَة: ١-٢].

بِالإِنْجِيلِ، وَتَفْسِيرُهُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣-٤]. هُمُ النَّصَارَى.

وَتَفْسِيرُهُمْ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العَنكَبُوت: ٤٦]. هُمُ النَّصَارَى، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [العَنكَبُوت: ٤٦]، هُمُ اليَهُودُ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِهِمُ القُرْآنَ، مِثْلَ مَا يُفَسِّرُونَ بِهِ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ مِنَ التَّفَاسِيرِ الَّتِي هِيَ مِنْ تَحْرِيفِ الكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَالإِلْحَادِ فِي آيَاتِ اللهِ وَالكَذِبِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِمَا يَظْهَرُ أَنَّهُ كَذِبٌ عَلَى الأَنْبِيَاءِ لِكُلِّ مَنْ تَدَبَّرَ ذَلِكَ. وَبُطْلَانُ ذَلِكَ يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهٍ.

أَحَدُهَا- أَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [الحديد: ٢٥].

اسْمُ جَمْعٍ مُضَافٌ يَعُمُّ جَمِيعَ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى.

الثَّانِي- أَنَّ أَحَقَّ الرُّسُلِ بِهَذَا الحُكْمِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ فِي القُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١١٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٥].

obeikandl.com

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠-١٦١].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٨٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وَذَكَرَ قِصَّتَهُ ثُمَّ قَالَ: بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٣١-٣٢].

ثُمَّ لَمَّا قَضَى قِصَّتَهُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٢-٤٦].

فَذَكَرَ إِرْسَالَ رُسُلِهِ تَتْرَى أَيْ مُتَوَاتِرَةً ثُمَّ ذَكَرَ إِرْسَالَ مُوسَى وَهَارُونَ وَإِرْسَالَ مُوسَى وَهَارُونَ قَبْلَ المَسِيحِ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

فَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَقَالَ تَعَالَى فِي الْمَسِيحِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ -: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥].

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمَسِيحَ رَسُولٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وَقَبْلَهُ قَدْ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا.

وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَنَّ الرُّسُلَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ»(١) وَبَعْضُ النَّاسِ يُصَحِّحُ هَذَا الْحَدِيثَ وَبَعْضُهُمْ يُضَعِّفُهُ، فَإِنْ كَانَ صَحِيحًا فَالرُّسُلُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ وَإِنْ لَمْ تُعْرَفْ صِحَّتُهُ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونُوا بِقَدْرِ ذَلِكَ وَأَنْ يَكُونُوا أَكْثَرَ؛ كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا أَقَلَّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ أَكْرَمُهَا وَأَفْضَلُهَا عَلَى اللهِ**»(٢) وَهُوَ حَدِيثٌ جَيِّدٌ.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا.
أخرجه ابن حبان [٣٦١] وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦-١٦٨) وابن عدي (٧/ ٢٦٩٩) والبيهقي (٩/ ٤) وهو حديث ضعيف جدًا، وقد خرجته مطولًا في «البداية والنهاية».

(٢) صحيح.
أخرجه أحمد (٥/ ٣) والترمذي [٣٠٠١] وابن ماجه [٤٢٨٧]، [٤٢٨٨] والدارمي [٢٧٦٠] والطبري (١/ ٢٦٥) (٤/ ٤٥) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠١٢-١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥) من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، بنحوه. =

obeikandi.com

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ تَبَارَكَ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ [الملك: ٦-٩].

فَهَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ بِأَنَّ كُلَّ فَوْجٍ يُلْقَى فِي النَّارِ وَقَدْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فَقَدْ أَرْسَلَ اللهُ قَبْلَ المَسِيحِ رُسُلًا كَثِيرِينَ إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ المُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ هُمُ الحَوَارِيُّونَ - فَقَطْ - الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ المَسِيحُ مَعَ أَنَّ الحَوَارِيِّينَ رُسُلُ المَسِيحِ بِمَنْزِلَةِ رُسُلِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَرُسُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

= وإسناده حسن.
وأخرجه أحمد (٥/ ١) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠٣٠) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه، به.
وإسناده حسن.

وَمَنْ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ عَلَى النَّاسِ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي**»(١).

فَبَيَّنَ أَنَّ أَمِيرَهُ إِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُ فِي المَعْرُوفِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ لَا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا وَيُطِيعُوا، فَأَغْضَبُوهُ، فَقَالَ: «اجْمَعُوا لِي حَطَبًا» فَجَمَعُوا لَهُ ثُمَّ قَالَ: «**أَوْقِدُوا نَارًا**» فَأَوْقَدُوا نَارًا، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللهِ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتُطِيعُوا» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَادْخُلُوهَا» فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَقَالُوا: إِنَّمَا فَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ مِنَ النَّارِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا**» وَقَالَ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري [٢٩٥٧] ومسلم [١٨٣٥] وأحمد (٢/ ٢٤٤) وابن أبي شيبة (١٢/ ٢١٢) والبغوي [٢٤٧٧] وابن حبان [٤٥٥٦] من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، به.
وأخرجه عبد الرزاق [٢٠٦٧٩] وأحمد (٢/ ٢٧٠ و٥١١) والبخاري [٧١٣٧] ومسلم [١٨٣٥] والنسائي (٧/ ١٥٤) والبيهقي (٨/ ١٥٥) من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٣١٣) ومسلم [١٨٣٥] والبغوي [٢٤٥١] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة، به.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٢١٢) وابن ماجه [٣] و[٢٨٥٩] والبغوي [٢٤٥٠] من طرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، به.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٩٤) والبخاري [٧٢٥٧] ومسلم [١٨٤٠] وأبو داود [٢٦٢٥] والنسائي (٧/ ١٠٩) وابن حبان [٤٥٦٧] من طريق زُبيد، عن سعد بن عُبيدة عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن علي، به.
وأخرجه أحمد (١/ ٨٢) والبخاري [٤٣٤٠]، [٧١٤٥] ومسلم [١٨٤٠] من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة، به.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»(١).

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أُمِّ الحُصَيْنِ سَمِعت رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ: «**وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا**»(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد [٤٦٦٨] والبخاري [٢٩٥٥]، [٧١٤٤] ومسلم [١٨٣٩] وأبو داود [٢٦٢٦] وأبو عوانة (٤/ ٤٥٠) والبيهقي (٣/ ١٢٧) والبغوي [٢٤٥٣] وفي «التفسير» (١/ ٤٤٥) من طريق يحيى بن سعيد عن عبيد الله أخبرني نافع عن ابن عمر، به.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٥٤٢) وعبد بن حميد [٧٥٢] والبخاري [٢٩٥٥] ومسلم [١٨٣٩] وابن ماجه [٢٨٦٤] والترمذي [١٧٠٧] والنسائي (٧/ ١٦٠) من طرق عن عبيد الله، به.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٢) ومسلم [١٢٩٨]، [٣١١]، [٣١٢] و[١٨٣٨] وابن حبان [٤٥٦٤] من طريق زيد بن أبي أنيسة، عن يحيى بن الحصين عن أم الحصين أنها حدثته قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع... وفيه: «**إن أمر عليكم عبدٌ مجدعٌ أسود يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا وأطيعوا**».
وأخرجه أحمد (٦/ ٤٠٢-٤٠٣) ومسلم [١٨٣٨] وابن ماجه [١٨٦١] والنسائي (٧/ ١٥٤) والطبراني (٢٥/ ٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٤) وابن أبي عاصم في «السنة» [١٠٦٢] والبيهقي (٧/ ١٥٥) من طرق عن يحيى بن حُصين، به.

(٣) أخرجه البخاري [٦٧] ومسلم [١٦٧٩] والنسائي «كبرى» [٤٠٩١]، [٤٠٩٢]، [٥٨٥١] والدارمي [١٩١٦] وأحمد (٥/ ٣٧) وابن حبان [٣٨٤٨]، [٥٩٧٣] والبيهقي (٣/ ٢٩٨) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، به.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦-٢٧) والبخاري [١٠٥]، [٤٤٠٦]، [٥٥٥٠]، [٧٤٤٧] ومسلم [١٦٧٩] والبزار [٣٦١٦] وابن حبان [٥٩٧٤]، [٥٩٧٥] والبيهقي (٥/ ١٦٥) والبغوي [١٩٦٥] من طريق أيوب عن محمد بن سيرين، به.

obeikandl.com

وَفِي «صَحِيحِ البُخَارِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**(١).

وَفِي السُّنَنِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: **«نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»**(٢).

فَالحَوَارِيُّونَ فِي تَبْلِيغِهِمْ عَنِ المَسِيحِ كَسَائِرِ أَصْحَابِ الأَنْبِيَاءِ فِي تَبْلِيغِهِمْ عَنْهُمْ. وَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وَأُولُوا الأَمْرِ هُمُ العُلَمَاءُ وَالأُمَرَاءُ، فَإِذَا أَمَرُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَجَبَتْ طَاعَتُهُمْ، وَإِنْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ وَجَبَ رَدُّهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﷺ لَا يُرَدُّ إِلَى أَحَدٍ دُونَ الرُّسُلِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ؛ كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق [١٠١٥٧]، [١٩٢١٠] وابن أبي شيبة (٨/ ٧٦٠) وأحمد (٢/ ١٥٩) والبخاري (٣٤٦١) والترمذي [٢٦٦٩] والطحاوي «شرح المشكل» [٣٩٨] وفي «شرح المعاني» (٤/ ١٩٨) والدارمي [٥٤٢] من طريق الأوزاعي حدثني حسان بن عطية، حدثني أبو كبشة السلولي عن عبد الله بن عمرو، به.

(٢) سبق تخريجه.

وَالكِتَابُ اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ لَيْسَ المُرَادُ بِهِ كِتَابًا مُعَيَّنًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

وَلَمْ يُرِدْ بِهَذَا أَنْ يُؤْمِنَ بِكِتَابٍ مُعَيَّنٍ وَاحِدٍ بَلْ وَهَذَا يَتَضَمَّنُ الإِيمَانَ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَكُلِّ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ كِتَابٍ؛ كَمَا قَالَ: فِي سُورَةِ الشُّورَى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشُّورَى: ١٥].

فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ مَنْ بَلَغَتْهُمْ رِسَالَتُهُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأَنْعَام: ١٩].

فَكُلُّ مَنْ بَلَغَهُ القُرْآنُ فَهُوَ مُخَاطَبٌ بِهِ يَتَنَاوَلُهُ خِطَابُ القُرْآنِ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى: «وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ» وَكِلَا القِرَاءَتَيْنِ مُوَافِقَةٌ لِلْأُخْرَى.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البَقَرَة: ٢١٣].

أَيْ فَاخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ فِي السُّورَةِ الأُخْرَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يُونُس: ١٩]، فَلَمَّا اخْتَلَفَ بَنُو آدَمَ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ.

---

(١) سبق قبل قليل.

وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ كُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ لِيَحْكُمَ اللهُ وَيَحْكُمَ كِتَابُهُ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ فَالحَاكِمُ بَيْنَ النَّاسِ هُوَ اللهُ تَعَالَى وَحُكْمُهُ فِي كُتُبِهِ المُنَزَّلَةِ فَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ إِذَا تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ.

وَالرَّدُّ إِلَى اللهِ هُوَ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ فَأَمَرَهُمْ بِالرَّدِّ إِلَى كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ ذَمَّ تَعَالَى مَنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ إِلَى كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاء: ٦٠-٦٥].

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الرُّسُلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحَدِيد: ٢٥].

يَتَنَاوَلُ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى كُلَّهُمْ وَمِنْ أَحَقِّهِمْ بِذَلِكَ الرُّسُلُ الَّذِينَ أَخْبَرَ فِي القُرْآنِ أَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ إِلَى عِبَادِهِ فَظَهَرَ بُطْلَانُ قَوْلِهِمْ: أَنَّهُمُ الحَوَارِيُّونَ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَدِيد: ٢٥].

فَذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الحَدِيدَ أَيْضًا لِيَتَبَيَّنَ مَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالحَدِيدِ.

وَالنَّصَارَى يَزْعُمُونَ أَنَّ الحَوَارِيِّينَ وَالنَّصَارَى لَمْ يُؤْمَرُوا بِقِتَالِ أَحَدٍ بِالحَدِيدِ.

الوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحَدِيد: ٢٦-٢٧].

وَإِخْبَارُهُ بِإِرْسَالِ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ قَوْلِهِ: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الخَاصِّ بَعْدَ العَامِّ وَبَيَانِ مَا اخْتَصَّ بِهِ الخَاصُّ مِنَ الأَحْكَامِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا دَخَلَ فِي العَامِّ؛ كَمَا يَأْمُرُ السُّلْطَانُ العَسْكَرَ بِالجِهَادِ وَيَأْمُرُ فُلَانًا وَفُلَانًا بِأَنْ يَفْعَلُوا كَذَا وَكَذَا وَمِثْلُ أَنْ يُقَالَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ إِلَى فُلَانٍ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فُلَانًا وَأَمَرَهُ بِكَذَا وَكَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾.

فَنُوحٌ هُوَ أَبُو الآدَمِيِّينَ الَّذِينَ حَدَثُوا بَعْدَ الطُّوفَانِ، فَإِنَّ اللهَ أَغْرَقَ وَلَدَ آدَمَ إِلَّا أَهْلَ السَّفِينَةِ وَقَالَ فِي نُوحٍ: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصَّافَّات: ٧٧].

وَإِبْرَاهِيمُ جَعَلَ الأَنْبِيَاءَ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العَنكَبُوت: ٢٧].

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ إِرْسَالَ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَنَّهُ جَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ قَفَّى عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِهِ وَقَفَّى بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَاهُ الإِنْجِيلَ وَهَؤُلَاءِ رُسُلٌ قَبْلَ المَسِيحِ وَآخِرُهُمُ المَسِيحُ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَرْسَلَ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِ المَسِيحِ بَلْ أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَنَّ مُرَادَهُ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ

أَرْسَلَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ هُمُ الحَوَارِيُّونَ دُونَ الرُّسُلِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ وَأَرْسَلَهُمْ قَبْلَ المَسِيحِ.

الوَجْهُ الخَامِسُ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي القُرْآنِ آيَةٌ تَنْطِقُ بِأَنَّ الحَوَارِيِّينَ رُسُلُ اللهِ بَلْ وَلَا صَرَّحَ فِي القُرْآنِ بِأَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ لَكِنْ قَالَ فِي سُورَةِ يس:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس: ١٣-٣٠].

فَهَذَا كَلَامُ اللهِ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ المُرْسَلِينَ كَانُوا مِنَ الحَوَارِيِّينَ وَلَا أَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ آمَنُوا بِهِمْ وَفِيهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ.

وَقَدْ ذَكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنَ الحَوَارِيِّينَ وَأَنَّ القَرْيَةَ أَنْطَاكِيَةُ وَأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ اسْمُهُ حَبِيبٌ النَّجَّارُ ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ إِنَّ المَسِيحَ أَرْسَلَهُمْ فِي حَيَاتِهِ لَكِنَّ المَعْرُوفَ عِنْدَ النَّصَارَى أَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ آمَنُوا بِالحَوَارِيِّينَ وَاتَّبَعُوهُمْ لَمْ يُهْلِكِ اللهُ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ.

وَالقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ أَهْلَكَ قَوْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي آمَنَ بِالرُّسُلِ.

وَأَيْضًا فَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: إِنَّمَا جَاءُوا إِلَى أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ بَعْدَ رَفْعِ المَسِيحِ وَأَنَّ الَّذِينَ جَاءُوا كَانُوا اثْنَيْنِ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا ثَالِثٌ قِيلَ أَحَدُهُمَا شَمْعُونُ الصَّفَا وَالآخَرُ بُولُصُ وَيَقُولُونَ إِنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ آمَنُوا بِهِمْ وَلَا يَذْكُرُونَ حَبِيبَ النَّجَّارَ وَلَا مَجِيءَ رَجُلٍ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ بَلْ يَقُولُونَ إِنَّ شَمْعُونَ وَبُولُصَ دَعَوُا اللهَ حَتَّى أَحْيَا ابْنَ المَلِكِ فَالأَمْرُ المَنْقُولُ عِنْدَ النَّصَارَى أَنَّ هَؤُلَاءِ المَذْكُورِينَ فِي القُرْآنِ لَيْسُوا مِنَ الحَوَارِيِّينَ وَهَذَا أَصَحُّ القَوْلَيْنِ عِنْدَ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ وَأَئِمَّةِ المُفَسِّرِينَ وَذَكَرُوا أَنَّ المَذْكُورِينَ فِي القُرْآنِ فِي سُورَةِ يس لَيْسُوا مِنَ الحَوَارِيِّينَ بَلْ كَانُوا قَبْلَ المَسِيحِ وَسَمَّوْهُمْ بِأَسْمَاءٍ غَيْرِ الحَوَارِيِّينَ؛ كَمَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: سَلَمَةُ بْنُ الفَضْلِ كَانَ مِنْ حَدِيثِ صَاحِبِ يس فِيمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ كَعْبٍ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ وَكَانَ اسْمُهُ حَبِيبًا وَكَانَ يَعْمَلُ الحَرِيرَ وَكَانَ رَجُلًا سَقِيمًا قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الجُذَامُ وَكَانَ مَنْزِلُهُ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَدِينَةِ، يُتَاجِرُ وَكَانَ مُؤْمِنًا ذَا صَدَقَةٍ يَجْمَعُ كَسْبَهُ إِذَا أَمْسَى فِيمَا يَذْكُرُونَ فَيَقْسِمُهُ نِصْفَيْنِ فَيُطْعِمُ نِصْفَهُ عِيَالَهُ وَيَتَصَدَّقُ بِنِصْفِهِ وَكَانَ بِالمَدِينَةِ الَّتِي هُوَ بِهَا مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَةَ فِرْعَوْنُ مِنَ الفَرَاعِنَةِ يُقَالُ لَهُ إِنْطَخْسُ بْنُ أَنْطَنْخَسَ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ صَاحِبُ شِرْكٍ فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ المُرْسَلِينَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ وَشَلُومُ فَقَدَّمَ اللهُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَهْلِ المَدِينَةِ مِنْهُمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ثُمَّ عَزَّزَ اللهُ بِالثَّالِثِ[1].

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٠١) وفيه انقطاع.

وَرَوَى الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس:١٣-١٤].

لِكَيْ تَكُونَ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ فَأَتَوْا أَهْلَ القَرْيَةِ فَدَعَوْهُمْ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ فَكَذَّبُوهُمْ فَأَتَوْا عَلَى رَجُلٍ فِي نَاحِيَةِ القَرْيَةِ فِي زَرْعٍ لَهُ فَسَأَلَهُمُ الرَّجُلُ مَا أَنْتُمْ قَالُوا: نَحْنُ رُسُلُ رَبِّ العَالَمِينَ، أُرْسِلْنَا إِلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ نَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ لَهُمْ: أَتَسْأَلُونَ عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَأَلْقَى مَا فِي يَدِهِ ثُمَّ أَتَى أَهْلَ المَدِينَةِ فَقَالَ:

﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢٠-٢١].

وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ المُرْسَلِينَ كَانُوا رُسُلًا للهِ قَبْلَ المَسِيحِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أُرْسِلُوا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَآمَنَ بِهِمْ حَبِيبٌ النَّجَّارُ فَهُمْ كَانُوا قَبْلَ المَسِيحِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَهْلُ المَدِينَةِ بِالرُّسُلِ بَلْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ تَعَالَى؛ كَمَا أَخْبَرَ فِي القُرْآنِ ثُمَّ بَعْدَ هَذَا عُمِّرَتْ أَنْطَاكِيَةُ وَكَانَ أَهْلُهَا مُشْرِكِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ مَنْ جَاءَهُمْ مِنَ الحَوَارِيِّينَ فَآمَنُوا بِالمَسِيحِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَدَخَلُوا دِينَ المَسِيحِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلُ المَدَائِنِ الكِبَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِالمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ.، وَلَكِنْ ظَنَّ مَنْ ظَنَّ مِنَ المُفَسِّرِينَ أَنَّ المَذْكُورِينَ فِي القُرْآنِ هُمْ رُسُلُ المَسِيحِ وَهُمْ مِنَ الحَوَارِيِّينَ وَهَذَا غَلَطٌ لِوُجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّ اللهَ قَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ أَهْلَكَ الَّذِينَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَةَ لَمَّا جَاءَهُمْ مَنْ دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ المَسِيحِ آمَنُوا وَلَمْ يُهْلَكُوا.

وَمِنْهَا: أَنَّ الرُّسُلَ فِي القُرْآنِ ثَلَاثَةٌ وَجَاءَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ أَتْبَاعِ المَسِيحِ كَانُوا اثْنَيْنِ وَلَمْ يَأْتِهِمْ رَجُلٌ يَسْعَى لَا حَبِيبٌ وَلَا غَيْرُهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاءُوا بَعْدَ الْمَسِيحِ فَلَمْ يَكُنِ اللهُ أَرْسَلَهُمْ وَهَذَا؛ كَمَا أَنَّ اللهَ ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ أَهْلَكَ أَهْلَ مَدْيَنَ بِالظُّلَّةِ لَمَّا جَاءَهُمْ شُعَيْبٌ وَذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ مُوسَى أَتَاهَا وَتَزَوَّجَ بِبِنْتِ وَاحِدٍ مِنْهَا فَظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ شُعَيْبٌ النَّبِيُّ ﷺ وَهَذَا غَلَطٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَابْنِ جُرَيْجٍ وَغَيْرِهِمْ، كُلُّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ الَّذِي صَاهَرَهُ مُوسَى لَيْسَ هُوَ شُعَيْبًا النَّبِيَّ ﷺ وَحُكِيَ أَنَّهُ شُعَيْبٌ عَمَّنْ لَا يُعْرَفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ كَمَا بَسَطْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ.

وَأَهْلُ الكِتَابِ يُقِرُّونَ بِأَنَّ الَّذِي صَاهَرَهُ مُوسَى لَيْسَ هُوَ شُعَيْبًا بَلْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَّهَا غَيْرُ مَدْيَنَ الَّتِي أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرْسَلِينَ هَلْ أَرْسَلَهُمُ اللهُ أَوْ أَرْسَلَهُمُ الْمَسِيحُ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا- أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ.

قَالَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ: وَهَذَا ظَاهِرُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَعْبٍ وَوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس:٢٩]:

أَخَذَ جِبْرِيلُ بِعِضَادَتَيْ بَابِ الْمَدِينَةِ وَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ مَيِّتُونَ لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ كَالنَّارِ إِذَا أُطْفِئَتْ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:٢٩].

أَيْ: سَاكِنُونَ كَهَيْئَةِ الرَّمَادِ الخَامِدِ(١).

وَمَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَةَ لَمْ يُصِبْهُمْ ذَلِكَ بَعْدَ مَبْعَثِ الْمَسِيحِ بَلْ آمَنُوا قَبْلَ أَنْ يُبَدِّلَ دِينُهُ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ بِهِ عَلَى دِينِهِ إِلَى أَنْ تَبَدَّلَ دِينُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ بَعْدَ نُزُولِ التَّوْرَاةِ لَمْ يُهْلِكِ اللهُ مُكَذِّبِي الأُمَمِ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ يَعُمُّهُمْ؛ كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَفِرْعَوْنَ وَغَيْرَهُمْ بَلْ أَمَرَ

(١) انظر «زاد المسير» (٧/ ١١-١٤).

الْمُؤْمِنِينَ بِجِهَادِ الكُفَّارِ؛ كَمَا أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى بِقِتَالِ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ القَرْيَةُ أَهْلَكَ اللهُ أَهْلَهَا بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ المَذْكُورِينَ فِي يس كَانُوا قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَيْضًا، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَذْكُرْ فِي القُرْآنِ رَسُولًا أَرْسَلَهُ غَيْرُهُ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الرُّسُلَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ هُوَ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ؛ كَمَا أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ نُوحًا وَمُوسَى وَغَيْرَهُمَا، وَفِي الآيَةِ: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ [يس: ١٥].

وَمِثْلُ هَذَا هُوَ خِطَابُ المُشْرِكِينَ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الوَحْيَ لَا لِمَنْ جَاءَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ رَسُولٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ فِي الرُّسُلِ الَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا مِنْ عِنْدِ رُسُلِهِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ ضَرَبَ هَذَا مَثَلًا لِمَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَذِّرُهُمْ أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ مِنْهُمْ؛ كَمَا انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمُحَمَّدٌ إِنَّمَا يُضْرَبُ لَهُ المَثَلُ بِرَسُولٍ نَظِيرِهِ لَا بِمَنْ أَصْحَابُهُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا أَفْضَلُ مِنَ الحَوَارِيِّينَ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ وَلَمْ يَبْعَثِ اللهُ بَعْدَ المَسِيحِ رَسُولًا بَلْ جَعَلَ ذَلِكَ الزَّمَانَ زَمَانَ فَتْرَةٍ كَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩].

وَأَيْضًا، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٤-١٥].

وَلَوْ كَانُوا رُسُلَ رَسُولٍ لَكَانَ التَّكْذِيبُ لِمَنْ أَرْسَلَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِمْ: إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا شُبْهَةً، فَإِنَّ أَحَدًا لَا يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ رُسُلُ رُسُلِ اللهِ بَشَرًا وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ

رَسُولُ اللهِ بَشَرًا، وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ التَّكْذِيبُ لَهُمَا وَهُمَا رُسُلُ الرَّسُولِ لَأَمْكَنَهُمَا أَنْ يَقُولَا: فَأَرْسِلُوا إِلَى مَنْ أَرْسَلَنَا أَوْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ صِدْقَنَا فِي البَلَاغِ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَا رُسُلَ اللهِ.

وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ هُوَ المُرْسِلُ وَمَنْ أَرْسَلَهُمْ غَيْرُهُ إِنَّمَا أَرْسَلَهُمْ ذَلِكَ لَمْ يُرْسِلْهُمُ اللهُ؛ كَمَا لَا يُقَالُ لِمَنْ أَرْسَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ فَلَا يُقَالُ لِدِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الكَلْبِيِّ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ وَأَمْثَالِهِمَا مِمَّنْ أَرْسَلَهُمُ الرَّسُولُ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَ رُسُلَهُ إِلَى مُلُوكِ الأَرْضِ؛ كَمَا أَرْسَلَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ إِلَى قَيْصَرَ وَأَرْسَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ حُذَافَةَ إِلَى كِسْرَى وَأَرْسَلَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المُقَوْقِسِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي هَؤُلَاءِ: إِنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ وَلَا يُسَمُّونَ عِنْدَ المُسْلِمِينَ رُسُلَ اللهِ وَلَا يَجُوزُ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ أَنْ يُقَالَ هَؤُلَاءِ دَاخِلُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحَدِيد: ٢٥].

فَإِذَا كَانَتْ رُسُلُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمْ يَتَنَاوَلْهُمُ اسْمُ رُسُلِ اللهِ فِي الكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ هَذَا الِاسْمَ يَتَنَاوَلُ رُسُلَ رَسُولٍ غَيْرِهِ، وَالمَقْصُودُ هُنَا بَيَانُ مَعَانِي القُرْآنِ وَمَا أَرَادَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٣-١٤].

هَلْ مُرَادُ اللهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ أَرْسَلَهُمُ اللهُ أَوْ مَنْ أَرْسَلَهُمْ رَسُولُهُ، وَقَدْ عُلِمَ يَقِينًا أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَدْخُلْ فِي مِثْلِ هَذَا فَمَنْ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَرَادَ بِذَلِكَ مَنْ أَرْسَلَهُ رَسُولًا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ عَمْدًا أَوْ خَطَأً.

فَصْلٌ

وَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ فَسَادُ قَوْلِهِمْ: فِي تَفْسِيرِ آيَةِ البَقَرَةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: وَقَالَ: فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البَقَرَة:٢١٣].

قَالُوا: فَأَعْنِي بِقَوْلِهِ: أَنْبِيَاءَهُ الْمُبَشِّرِينَ وَرُسُلَهُ يَنْحُو بِذَلِكَ عَنِ الحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ دَارُوا فِي سَبْعَةِ أَقَالِيمِ العَالَمِ وَبَشَّرُوا بِالكِتَابِ الَّذِي هُوَ الإِنْجِيلُ الطَّاهِرُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَعْنِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَدَاوُدَ وَمُحَمَّدٍ لَكَانَ قَالَ: وَمَعَهُمُ الكُتُبُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ جَاءَ بِكِتَابٍ دُونَ غَيْرِهِ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا الكِتَابَ الوَاحِدَ؛ لِأَنَّهُ مَا أُتِيَ جَمَاعَةٌ مُبَشِّرِينَ بِكِتَابٍ وَاحِدٍ غَيْرَ الحَوَارِيِّينَ الَّذِينَ أُتُوا بِالإِنْجِيلِ الطَّاهِرِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ مَا يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ هَذَا التَّفْسِيرِ.

وَأَيْضًا، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، أَيْ: فَاخْتَلَفُوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

وَالحَوَارِيُّونَ لَيْسُوا مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنْ كَانَ المَسِيحُ أَرْسَلَهُمْ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ إِرْسَالِهِ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ كَمَنْ أَرْسَلَهُمْ مُوسَى وَمُحَمَّدٌ وَغَيْرُهُمَا وَلِهَذَا تُسَمِّيهِمْ عَامَّةُ النَّصَارَى رُسُلًا وَلَا يُسَمُّونَهُمْ أَنْبِيَاءً.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

وَالحَوَارِيُّونَ لَمْ يَنْزِلْ مَعَهُمُ الكِتَابُ إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ مَعَ المَسِيحِ، وَلَكِنَّ الأَنْبِيَاءَ أُنْزِلَ مَعَهُمْ جِنْسُ الكِتَابِ، فَإِنَّ الكِتَابَ اسْمُ جِنْسٍ فَيَدْخُلُ فِيهِ الكُتُبُ المُنَزَّلَةُ كُلُّهَا؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البَقَرَة:١٧٧].

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة:٢٨٥].

وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى (وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ).

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَنْ مَرْيَمَ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التَّحْرِيم:١٢].

وَفِي القِرَاءَةِ الأُخْرَى وَكِتَابِهِ.

وَأَيْضًا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. [البَقَرَة:٢١٣]

وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يُونُس:١٩].

وَهَذَا يَدُلُّ أَنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَتْ بَنُو آدَمَ بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ، وَاخْتِلَافُهُمْ كَانَ قَبْلَ المَسِيحِ بَلْ قَبْلَ مُوسَى بَلْ قَبْلَ الخَلِيلِ بَلْ قَبْلَ نُوحٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ، ثُمَّ حَدَثَ فِيهِمُ الشِّرْكُ[1] وَالِاخْتِلَافُ عَلَى وَجْهَيْنِ تَارَةً يَخْتَلِفُونَ فَيُؤْمِنُ بَعْضُهُمْ وَيَكْفُرُ بَعْضُهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البَقَرَة:٢٥٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحَجّ:١٩].

يَعْنِي: أَهْلَ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ، وَقَدْ يَكُونُ المُخْتَلِفُونَ كُلُّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البَقَرَة:١٧٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هُود:١١٨-١١٩].

وَأَيْضًا: فَالإِنْجِيلُ لَيْسَ فِيهِ حُكْمٌ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بَلْ عَامَّتُهُ مَوَاعِظُ وَوَصَايَا وَأَخْبَارُ المَسِيحِ بِخِلَافِ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ، فَإِنَّ فِيهِمَا مِنَ الحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مَا لَيْسَ فِي الإِنْجِيلِ.

---

(١) خرجته مطولًا في «تلبيس إبليس» و«البداية والنهاية».

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ اللهَ هَدَى الَّذِينَ آمَنُوا بَعْدَ اخْتِلَافِ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بَغْيًا بَيْنَهُمْ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ وَهَذَا ذَمٌّ لِمَنْ أُوتُوا الكِتَابَ فَاخْتَلَفُوا.

وَالنَّصَارَى دَاخِلُونَ فِي هَذَا الذَّمِّ وَلَوْ كَانَ المُرَادُ الإِنْجِيلَ لَكَانُوا هُمُ المَذْمُومِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ اليَهُودُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ المُخْتَلِفِينَ مَذْمُومُونَ أَيْضًا، وَإِنَّمَا المَمْدُوحُ هُمُ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ لِمَا اخْتَلَفَ أُولَئِكَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ.

وَهَذَا يَتَنَاوَلُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ قَطْعًا وَقَدْ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ آمَنَ مِنَ الأُمَمِ المُتَقَدِّمَةِ كَالَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ مُوسَى وَالمَسِيحِ وَإِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وَأَمَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ هَدَاهُمْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ الأُمَمُ قَبْلَهُمْ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَهَذَا بَيِّنٌ، فَإِنَّهُمْ عَلَى الحَقِّ وَالعَدْلِ الوَسَطِ بَيْنَ طَرَفَيِ البَاطِلِ وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي اتِّبَاعِهِمُ الحَقَّ الَّذِي اخْتَلَفَتْ فِيهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي التَّوْحِيدِ وَالأَنْبِيَاءِ وَالأَخْبَارِ وَالتَّشْرِيعِ وَالنَّسْخِ وَالحَلَالِ وَالحَرَامِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

أَمَّا التَّوْحِيدُ فَإِنَّ اليَهُودَ شَبَّهُوا الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ فَوَصَفُوا الرَّبَّ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ النَّقْصِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهَا المَخْلُوقُ فَقَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَبَخِيلٌ وَأَنَّهُ يَتْعَبُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَالنَّصَارَى وَصَفُوا المَخْلُوقَ بِصِفَاتِ الخَالِقِ صِفَاتِ الكَمَالِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهَا الخَالِقُ فَقَالُوا: عَنِ المَسِيحِ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ عَلَّامُ الغُيُوبِ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. الآيَةَ.

وَالْمُسْلِمُونَ هَدَاهُمُ اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ فَلَمْ يُشَبِّهُوا الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ وَلَا المَخْلُوقَ بِالخَالِقِ بَلْ أَثْبَتُوا للهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ وَنَزَّهُوهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُ أَحَدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَيْسَ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ فَنَزَّهُوهُ عَنِ النَّقَائِصِ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وَعَنْ مُمَاثَلَةِ المَخْلُوقِ لَهُ خِلَافًا لِلنَّصَارَى.

وَأَمَّا الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنَّ اليَهُودَ قَتَلُوا بَعْضًا وَكَذَّبُوا بَعْضًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧].

وَالنَّصَارَى أَشْرَكُوا بِهِمْ وَبِمَنْ هُوَ دُونَهُمْ فَعَبَدُوا المَسِيحَ بَلِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَجَعَلُوا الحَوَارِيِّينَ رُسُلًا للهِ وَزَعَمُوا أَنَّ الإِنْسَانَ يَصِيرُ بِطَاعَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الأَنْبِيَاءِ وَصَوَّرُوا تَمَاثِيلَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَصَارُوا يَدْعُونَهُمْ وَيَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَإِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تَمَاثِيلَهُمْ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذُكِرَ لَهُ كَنِيسَةٌ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وَذُكِرَ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وَأَمَّا المُسْلِمُونَ فَهَدَاهُمُ اللهُ لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ فَآمَنُوا بِأَنْبِيَاءِ اللهِ كُلِّهِمْ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَمْ يَغْلُوا فِيهِمْ غُلُوَّ النَّصَارَى وَلَا قَصَّرُوا فِي حَقِّهِمْ تَقْصِيرَ اليَهُودِ وَكَذَلِكَ قَتَلَ اليَهُودُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ وَالنَّصَارَى يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بِالشِّرْكِ وَإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَيُطِيعُونَ مَنْ يُحَرِّمُ الحَلَالَ وَيُحَلِّلُ الحَرَامَ وَالْمُسْلِمُونَ يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ وَلَا يُطِيعُونَ مَنْ يَأْمُرُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ. وَالنَّصَارَى فِيهِمُ الشِّرْكُ بِاللهِ وَاليَهُودُ فِيهِمُ الِاسْتِكْبَارُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي النَّصَارَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ

(١) سبق تخريجه.

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَالَ فِي اليَهُودِ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وَالإِسْلَامُ هُوَ أَنْ يَسْتَسْلِمَ العَبْدُ للهِ وَحْدَهُ فَيَعْبُدُهُ وَحْدَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ فَمَنِ اسْتَسْلَمَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ كَانَ مُشْرِكًا، وَاللهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لَهُ بَلِ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ كَانَ مِمَّنْ قِيلَ فِيهِ: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

فَلِهَذَا كَانَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ مُسْلِمِينَ للهِ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ فَالمَسِيحُ لَمْ يَزَلْ مُسْلِمًا لَمَّا كَانَ مُتَّبِعًا لِشَرْعِ التَّوْرَاةِ وَلَمَّا نَسَخَ اللهُ لَهُ نُسْخَةً مِنْهَا.

وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمْ يَزَلْ مُسْلِمًا لَمَّا كَانَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ لَمَّا صَلَّى إِلَى الكَعْبَةِ وَلَمَّا بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الخَلْقِ كَانُوا كُلُّهُمْ مَأْمُورِينَ بِطَاعَتِهِ وَكَانَتْ عِبَادَةُ اللهِ طَاعَتَهُ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا للهِ فَلَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا.

وَأَمَّا التَّشْرِيعُ فَإِنَّ اليَهُودَ زَعَمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ يَمْتَنِعُ مِنْهُ أَنْ يَنْسَخَهُ.

وَالنَّصَارَى زَعَمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ يَسُوغُ لِأَكَابِرِهِمْ أَنْ يَنْسَخُوهُ فَهَدَى اللهُ المُؤْمِنِينَ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ فَقَالُوا إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ أَنْ يَنْسَخَ مَا شَرَعَهُ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنْ شَرْعِ الخَالِقِ خِلَافًا لِلنَّصَارَى.

وَأَمَّا الحَلَالُ وَالحَرَامُ وَالطَّهَارَةُ وَالنَّجَاسَةُ فَإِنَّ اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ وَشُدِّدَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِ النَّجَاسَاتِ، حَتَّى مُنِعُوا مِنْ مُؤَاكَلَةِ الحَائِضِ وَالجُلُوسِ مَعَهَا فِي بَيْتٍ وَمِنْ إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَحْمُ الثَّرْبِ وَالكُلْيَتَيْنِ وَكُلُّ ذِي ظُفُرٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

obeikandl.com

وَالمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَلَّ لَهُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ فَقَابَلَهُمُ النَّصَارَى فَقَالُوا: لَيْسَ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ لَا الخِنْزِيرُ وَلَا غَيْرُهُ بَلْ وَلَا شَيْءَ نَجِسٌ، لَا البَوْلُ وَلَا غَيْرُهُ وَزَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ أَكَابِرِهِمْ رَأَى مُلَاءَةً صُوِّرَ لَهُ فِيهَا صُوَرُ الحَيَوَانِ وَقِيلَ لَهُ كُلْ مَا طَابَتْ نَفْسُكَ وَدَعْ مَا تَكْرَهُ وَأَنَّهُ أُبِيحَ لَهُمْ جَمِيعُ الحَيَوَانِ وَنَسَخُوا شَرْعَ التَّوْرَاةِ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، فَالحَلَالُ عِنْدَهُمْ مَا اشْتَهَتْهُ أَنْفُسُهُمْ وَالحَرَامُ عِنْدَهُمْ مَا كَرِهَتْهُ أَنْفُسُهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ فَأَحَلَّ لَهُمُ اللهُ الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَأَزَالَ عَنْهُمُ الآصَارَ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وَأَمَرَهُمْ بِالطَّهَارَةِ طَهَارَةِ الحَدَثِ وَالخَبَثِ خِلَافًا لِلنَّصَارَى. وَالمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَتْهُ اليَهُودُ وَلَدَ زِنًا كَذَّابًا سَاحِرًا، وَجَعَلَتْهُ النَّصَارَى هُوَ اللهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ

فَشَهِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ مَخْلُوقٌ خِلَافًا لِلنَّصَارَى وَأَنَّهُ رَسُولٌ وَجِيهٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ خِلَافًا لِلْيَهُودِ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ، فَإِنَّ اليَهُودَ مِنْ شَأْنِهِمُ التَّكْذِيبُ بِالحَقِّ وَالنَّصَارَى مِنْ شَأْنِهِمُ التَّصْدِيقُ بِالبَاطِلِ، فَإِنَّ اليَهُودَ كَذَّبُوا مَنْ كَذَّبُوهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ جَاءُوا بِالحَقِّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧].

وَالنَّصَارَى يُصَدِّقُونَ بِمُحَالَاتِ العُقُولِ وَالشَّرَائِعِ؛ كَمَا صَدَّقُوا بِالتَّثْلِيثِ وَالِاتِّحَادِ وَنَحْوِهِمَا مِنَ المُمْتَنِعَاتِ.

❁❁❁

فَصْلٌ

ثُمَّ قَالُوا عَنِ القُرْآنِ: إِنَّهُ يَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْصَارُ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ: كَمَا قَالَ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ؟ قَالَ الحَوَارِيُّونَ: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصَّف: ١٤].

فَيُقَالُ: هَذَا حَقٌّ وَالحَوَارِيُّونَ مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ وَهُمْ أَنْصَارُ اللهِ لَكِنْ لَيْسَ فِي هَذَا أَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ وَلَا فِي هَذَا أَنَّ كُلَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ مَأْخُوذٌ عَنْهُمْ وَلَا فِي هَذَا أَنَّ الوَاحِدَ مِنَ الحَوَارِيِّينَ مَعْصُومٌ مِنَ الغَلَطِ بَلْ أَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَارَ اللهِ؛ كَمَا طَلَبَ المَسِيحُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ).

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ المُؤْمِنِينَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ اللهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التَّوبَة: ١٠٠].

وَالمُهَاجِرُونَ أَفْضَلُ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُمْ أَيْضًا مِنْ أَنْصَارِ اللهِ نَصَرُوهُ؛ كَمَا نَصَرَهُ الأَنْصَارُ لَكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمُ اسْمٌ يَخُصُّهُمْ وَهُوَ المُهَاجِرُونَ وَهُوَ أَفْضَلُ الِاسْمَيْنِ، خُصَّ الأَنْصَارُ بِهَذَا الِاسْمِ. وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ أَفْضَلُ مِمَّنْ آمَنَ بِمُوسَى وَمَنْ آمَنَ بِعِيسَى عِنْدَ المُسْلِمِينَ.

وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ فِيهِمْ عِنْدَهُمْ نَبِيٌّ وَلَا رَسُولٌ للهِ، وَلَكِنْ فِيهِمْ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

❁ ❁ ❁

فَصْلٌ

رد زعمهم أن الإسلام عظم إنجيلهم الذي بين أيديهم

قَالُوا: وَأَمَّا تَعْظِيمُهُ لِإِنْجِيلِنَا وَكُتُبِنَا الَّتِي بِأَيْدِينَا فَيَقُولُ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [المَائِدَة: ٤٨].

وَقَالَ: فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١-٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١-٥].

فَأَعْنِي بِالكِتَابِ الإِنْجِيلَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ نَحْنُ النَّصَارَى الَّذِينَ آمَنَّا بِالمَسِيحِ وَمَا رَأَيْنَاهُ، ثُمَّ اتَّبَعَ بِالقَوْلِ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ فَأَعْنِي بِهِمُ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَتَى بِهِ وَمَا أَتَى مِنْ قَبْلِهِ وَقَالَ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٤٦-٤٧].

وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آلِ عِمْرَان: ١٨٤].

فَأَعْنِي أَيْضًا بِالكِتَابِ المُنِيرِ الَّذِي هُوَ الإِنْجِيلُ المُقَدَّسُ.

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يُونُس: ٩٤].

فَثَبَتَ بِهَذَا مَا مَعَنَا وَنُفِيَ عَنْ إِنْجِيلِنَا وَكُتُبِنَا الَّتِي فِي أَيْدِينَا التُّهَمُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّغْيِيرُ لِمَا فِيهَا بِتَصْدِيقِهِ إِيَّاهَا.

وَالجَوَابُ: بَعْدَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ لَفْظَ الآيَةِ الأُولَى مِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المَائِدَة: ٤٧].

أَنْ يُقَالَ: أَمَّا تَصْدِيقُ خَاتَمِ الرُّسُلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَبْلَهُ مِنَ الكُتُبِ وَلِمَنْ جَاءَ قَبْلَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَهَذَا مَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِهِ مُتَوَاتِرًا تَوَاتُرًا ظَاهِرًا كَتَوَاتُرِ إِرْسَالِهِ إِلَى الخَلْقِ كُلِّهِمْ وَهَذَا مِنْ أُصُولِ الإِيمَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦-١٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ٨٤-٨٥].

وَقَالَ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥-٢٨٦].

وَتَصْدِيقُهُ لِلتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مَذْكُورٌ فِي مَوَاضِعَ مِنَ القُرْآنِ وَقَدْ قَالَ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المَائِدَة: ٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وَقَالَ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يُوسُف: ٣].

فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَنْزَلَ هَذَا القُرْآنَ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكُتُبِ وَالْمُهَيْمِنُ الشَّاهِدُ الْمُؤْتَمَنُ الحَاكِمُ يَشْهَدُ بِمَا فِيهَا مِنَ الحَقِّ وَيَنْفِي مَا حُرِّفَ فِيهَا وَيَحْكُمُ بِإِقْرَارِ مَا أَقَرَّهُ اللهُ مِنْ أَحْكَامِهَا وَيَنْسَخُ مَا نَسَخَهُ اللهُ مِنْهَا وَهُوَ مُؤْتَمَنٌ فِي ذَلِكَ عَلَيْهَا وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ الحَدِيثِ وَأَحْسَنُ القَصَصِ وَهَذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ كُلُّ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالتَّوْرَاةِ قَبْلَ النَّسْخِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلِ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالهُدَى وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِالإِنْجِيلِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلِ شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ قَبْلَ النَّسْخِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ وَالهُدَى وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَدْحٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِشَرْعٍ مُبَدَّلٍ فَضْلًا عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِشَرْعٍ مَنْسُوخٍ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنَ الكُتُبِ بَلْ قَدْ بَيَّنَ كُفْرَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بِتَبْدِيلِ الكِتَابِ الأَوَّلِ وَبِتَرْكِ الإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ قَوْلَهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أَنَّهُ الإِنْجِيلُ وَ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: عَنَى بِهِمُ النَّصَارَى، فَهُوَ مِنْ تَحْرِيفِ الكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَبْدِيلِ كَلَامِ اللهِ؛ كَمَا فَعَلُوهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ بِإِذْنِى ﴾ أَيْ بِاللَّاهُوتِ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرُوهُ وَتَأَوَّلُوهُ مِنَ القُرْآنِ عَلَى غَيْرِ المَعْنَى الَّذِي أَرَادَ اللهُ بِهِ وَهَذَا مِمَّا يُؤَيِّدُ أَنَّهُمْ فَعَلُوا كَذَلِكَ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ القُرْآنُ الَّذِي قَدْ عُرِفَ تَفْسِيرُهُ وَالمُرَادُ بِهِ العَامُّ وَالخَاصُّ وَنُقِلَ ذَلِكَ عَنِ الرَّسُولِ نَقْلًا مُتَوَاتِرًا حَتَّى عُرِفَ مَعْنَاهُ عِلْمًا يَقِينًا اضْطِرَارِيًّا فَيُبَدِّلُونَ مَعْنَاهُ وَيُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ فَمَاذَا يَصْنَعُونَ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَلَمْ يُنْقَلْ لَفْظُ ذَلِكَ وَمَعْنَاهُ؛ كَمَا نُقِلَ القُرْآنُ وَلَيْسَ فِي أَهْلِ تِلْكَ الكُتُبِ مَنْ يَذُبُّ عَنْ لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا؛ كَمَا يَذُبُّ المُسْلِمُونَ عَنْ لَفْظِ القُرْآنِ وَمَعْنَاهُ؟.

وَهَؤُلَاءِ غَرَّهُمْ قَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فَظَنُّوا أَنَّ لَفْظَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لَمَّا كَانَ يُشَارُ بِهَا إِلَى الغَائِبِ أُشِيرَ بِهَا إِلَى الإِنْجِيلِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: هَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾.

وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَلَاهُ قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [الطلاق: ٢].

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ خَبَرَ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وَقَالَ أَيْضًا لَمَّا ذَكَرَ خَبَرَ مَرْيَمَ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

كَمَا قَالَ لَمَّا ذَكَرَ آيَاتٍ يُخْبِرُ فِيهَا عَنْ نُوحٍ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ [هود: ٤٩].

وَقَالَ: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١-٢].

وَتِلْكَ فِي الْمُؤَنَّثِ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْمُذَكَّرِ، وَمَعَ هَذَا فَأَشَارَ إِلَى الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: ١].

وَقَوْلُهُ: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ١].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [القصص: ١-٢].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿ حمٓ ۝١ عسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الشورى: ١-٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى: ٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الرعد: ١]. الآيَةَ.

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ قَوْلَهُ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ ﴾ وَنَحْو ذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الكِتَابُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ قَدْ أُنْزِلَ تِلْكَ السَّاعَةَ وَإِنَّمَا كَانَ قَدْ أُنْزِلَ قَبْلَ ذَلِكَ فَصَارَ كَالغَائِبِ الَّذِي يُشَارُ إِلَيْهِ؛ كَمَا يُشَارُ إِلَى الغَائِبِ وَهُوَ بِاعْتِبَارِ حُضُورِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يُشَارُ إِلَيْهِ؛ كَمَا يُشَارُ إِلَى الحَاضِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أَيْ: هَذَا الكِتَابُ، يَقُولُونَ: الْمُرَادُ هَذَا الكِتَابُ وَإِنْ كَانَتِ الإِشَارَةُ تَكُونُ تَارَةً إِشَارَةَ غَائِبٍ وَتَارَةً إِشَارَةَ حَاضِرٍ، وَقَدْ قَالَ: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢-٣].

obeikandl.com

وَقَدْ وَصَفَ النَّصَارَى بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَأَنَّهُمْ كَافِرُونَ ظَالِمُونَ فَكَيْفَ يَجْعَلُهُمُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وَأَوَّلُ التَّقْوَى تَقْوَى الشِّرْكِ، وَقَدْ وَصَفَ النَّصَارَى بِالشِّرْكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ المَسِيحَ: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [مريم: ٣٧-٣٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وَنَهَى عَنْ مُوَالَاتِهِمْ فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١].

وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ فَقَالَ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩].

فَلَوْ كَانُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْمُتَّقِينَ لَكَانَ اللهُ وَلِيَّهُمْ وَلَكَانَتْ مُوَالَاتُهُمْ وَاجِبَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ قَدْ نَهَى عَنْ مُوَالَاتِهِمْ وَجَعَلَ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ ظَالِمًا وَجَعَلَ

الْمُؤْمِنِينَ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَالكُفَّارَ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَلِهَذَا لَمَّا قَطَعَ اللهُ المُوَالَاةَ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ الكَافِرِينَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ**»(١).

وَاتَّفَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ اليَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ لَا يَرِثُ مُسْلِمًا وَلَوْ كَانَ ابْنَهُ وَأَبَاهُ؛ لِأَنَّ اللهَ قَطَعَ المُوَالَاةَ بَيْنَهُمَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣].

وَهِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ**»(٢). وَالنَّصَارَى يُصَلُّونَ بِغَيْرِ طُهُورٍ.

---

(١) أخرجه الشافعي (٢/ ١٩٠) وعبد الرزاق [٩٨٥٢] وأحمد (٥/ ٢٠٨-٢٠٩) والطيالسي [٦٣١] والبخاري [٦٧٦٤] ومسلم [١٦١٤] وأبو داود [٢٩٠٩] والترمذي [٢١٠٧] والدارمي (٢/ ٣٧١) وابن الجارود [٩٥٤] وابن حبان [٦٠٣٣] والدارقطني (٤/ ٦٩) والطبراني في «الكبير» [٣٩١] والبيهقي (٦/ ٢١٨) والبغوي [٢٢٣١] من طرق عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد، به.

(٢) أخرجه الطيالسي [١٣١٩] وابن أبي شيبة (١/ ٥) وأحمد (٥/ ٧٤) وأبو داود [٥٩] والنسائي (٥/ ٥٦-٥٧) وابن ماجه [٢٧١] وأبو عوانة (١/ ٢٣٥) والطبراني [٥٠٥]، [٥٠٦] والبيهقي (١/ ٢٣٠) عن أبي المليح عن أبيه، به.

وهو حديث صحيح. =

وَقَالَ ﷺ: «لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»(١). وَهُمْ لَا يَقْرَؤُونَهَا. وَالصَّلَاةُ الَّتِي فَرَضَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى اسْتِقْبَالِ الكَعْبَةِ وَعَلَى رُكُوعٍ وَسَجْدَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَفْعَلُهُ النَّصَارَى فَكَيْفَ يَمْدَحُهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَهُمْ لَا يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ الَّتِي أَمَرَ بِإِقَامَتِهَا.

ثُمَّ لَوْ قَالَ اليَهُودِيُّ المُرَادُ بِقَوْلِهِ: (ذَلِكَ الكِتَابُ) التَّوْرَاةُ وَ(بِالمُتَّقِينَ) اليَهُودُ لَكَانَ هَذَا مَعَ بُطْلَانِهِ أَقْرَبَ مِنْ قَوْلِ القَائِلِ أَنَّ المُرَادَ بِالكِتَابِ الإِنْجِيلُ؛ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنَ الإِنْجِيلِ، فَإِنَّهَا الأَصْلُ وَاللهُ تَعَالَى يَقْرِنُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ القُرْآنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ كَقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وَقَدْ قَالَتِ الجِنُّ لَمَّا سَمِعَتِ القُرْآنَ:

﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَمَّا سَمِعَ القُرْآنَ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ وَكَذَلِكَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ قَالَ: هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ.

= وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٥) وأحمد (٢/ ٢٠ و٣٩) ومسلم [٢٢٤] والترمذي [١] وأبو عوانة (١/ ٢٣٤) والبيهقي (١/ ٤٢) عن أبي هريرة، به.

(١) أخرجه الشافعي (١/ ٧٥) والحميدي [٣٨٦] وأحمد (٥/ ٣١٤) والبخاري [٧٥٦] ومسلم [٣٩٤] وأبو داود [٨٢٢] والنسائي (٢/ ١٣٧) وابن ماجه [٨٣٧] والدارقطني (١/ ٣٢١) وابن الجارود [١٨٥] والبيهقي (٢/ ٣٨) والبغوي [٥٧٦] وابن حبان من طرق عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت، به.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]، أَيِ: التَّوْرَاةُ وَالقُرْآنُ. وَقَالُوا: سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا أَيْ: مُوسَى وَمُحَمَّدٌ، وَقَالُوا: إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ.

قَالَ اللهُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

فَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ كِتَابٌ أَهْدَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩١-٩٢].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤].

فَهِيَ صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ مُجْمَلًا، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِإِيمَانٍ مُفَصَّلٍ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ. وَالعَطْفُ بِالوَاوِ يَكُونُ لِتَغَايُرِ الذَّوَاتِ وَيَكُونُ لِتَغَايُرِ الصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٥]، وَالَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى هُوَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ٩-١٢].

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

فَهُمْ صِنْفٌ وَاحِدٌ وَصَفَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ بِحَرْفِ الوَاوِ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٣٢ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

وَقَدْ فَسَّرَ قَبْلَ قَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ صِفَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الكِتَابِ كَمُشْرِكِي العَرَبِ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ صِفَةُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ.

وَعَلَى هَذَا القَوْلِ: هَؤُلَاءِ غَيْرُ هَؤُلَاءِ، لَكِنَّ هَذَا ضَعِيفٌ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الكِتَابِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ وَلَا بُدَّ فِي مُؤْمِنِ أَهْلِ الكِتَابِ أَنْ يُؤْمِنَ بِالغَيْبِ. فَكُلٌّ مِنَ الإِيمَانَيْنِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِ مُفْلِحًا إِلَّا بِهَذَا وَهَذَا.

وَأَمَّا قَوْلُ النَّصَارَى: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِالسَّيِّدِ المَسِيحِ وَمَا رَأَيْنَاهُ، فَهَكَذَا اليَهُودُ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا رَأَوْهُ، وَالْمُسْلِمُونَ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا رَأَوْهُ، بَلِ الْمُسْلِمُونَ آمَنُوا بِمُوسَى وَعِيسَى وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَمَا رَأَوْهُمْ بِخِلَافِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ آمَنُوا

بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ. ثُمَّ الغَيْبُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ صُورَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ صُورَةَ النَّبِيِّ لَيْسَتْ مِنَ الغَيْبِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَرَوْنَهَا وَلَيْسَ فِي رُؤْيَتِهَا مَا يُوجِبُ إِيمَانًا وَلَا كُفْرًا، وَلَكِنَّ الغَيْبَ مَا غَابَ عَنْ مُشَاهَدَةِ الخَلْقِ وَهُوَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ مِنَ الغَيْبِ فَيَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللهِ، وَسَوَاءٌ رُؤِيَتْ أَبْدَانُهُمْ أَوْ لَمْ تُرَ فَقَدْ يَرَاهُمْ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِرِسَالَتِهِمْ وَقَدْ يُؤْمِنُ بِرِسَالَتِهِمْ مَنْ لَمْ يَرَهُمْ.

وَالمَقْصُودُ الإِيمَانُ بِرِسَالَتِهِمْ لَا بِنَفْسِ صُوَرِهِمْ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: آمَنَّا بِنَبِيٍّ وَلَمْ نَرَهُ، وَقَدْ يَعْلَمُ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ وَأَعْلَامِ رِسَالَتِهِ مَنْ لَمْ يَرَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُهَا مَنْ رَآهُ.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: فِي سُورَةِ المَائِدَةِ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٦-٤٧].

فَهَذَا ثَنَاءٌ مِنْهُ عَلَى المَسِيحِ وَالإِنْجِيلِ وَأَمْرٌ لِلنَّصَارَى بِالحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ فِيهِ؛ كَمَا أَثْنَى عَلَى مُوسَى وَالتَّوْرَاةِ بِأَعْظَمَ مِمَّا عَظَّمَ بِهِ المَسِيحَ وَالإِنْجِيلَ فَـ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المَائِدَة: ٤١].

أَيْ: قَائِلُونَ لِلْكَذِبِ مُصَدِّقُونَ مُسْتَجِيبُونَ مُطِيعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ فَهُمْ مُصَدِّقُونَ لِلْكَذِبِ مُطِيعُونَ لِمَنْ يُخَالِفُكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ.

فَكُلٌّ مِنْ تَصْدِيقِ الكَذِبِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ خَالَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ.

وَلَفْظُ السَّمِيعِ يُرَادُ بِهِ الإِحْسَاسُ بِالصَّوْتِ وَيُرَادُ بِهِ فَهْمُ المَعْنَى وَيُرَادُ بِهِ قَبُولُهُ فَيُقَالُ: فُلَانٌ سَمِعَ مَا يَقُولُ فُلَانٌ أَيْ يُصَدِّقُهُ أَوْ يُطِيعُهُ وَيَقْبَلُ مِنْهُ.

فَقَوْلُهُ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أَيْ مُصَدِّقُونَ بِهِ وَإِلَّا مُجَرَّدُ سَمَاعِ صَوْتِ الكَاذِبِ وَفَهْمِ كَلَامِهِ لَيْسَ مَذْمُومًا عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَكَذَلِكَ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أَيْ مُسْتَجِيبُونَ لَهُمْ مُطِيعُونَ؛ كَمَا قَالَ فِي حَقِّ المُنَافِقِينَ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أَيْ مُسْتَجِيبُونَ مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمَنْ قَالَ: إِنَّ المُرَادَ بِهِ الجَاسُوسُ فَهُوَ غَالِطٌ كَغَلَطِ مَنْ قَالَ: سَمَّاعُونَ لَهُمْ هُمُ الجَوَاسِيسُ، فَإِنَّ الجَاسُوسَ إِنَّمَا يَنْقُلُ خَبَرَ القَوْمِ إِلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَا يَذْكُرُهُ وَيَأْمُرُ بِهِ

وَيَفْعَلُهُ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ كُلُّ مَنْ بِالْمَدِينَةِ مُؤْمِنُهُمْ وَمُنَافِقُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ أَنْ يَكْتُمَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ مَا يَقُولُهُ وَيَفْعَلُهُ خِلَافَ مَنْ كَانَ يَأْتِيهِ مِنَ الْيَهُودِ وَهُمْ يُصَدِّقُونَ الْكَذِبَ وَيُطِيعُونَ لِلْيَهُودِ الآخَرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوهُ وَاللهُ نَهَى نَبِيَّهُ أَنْ يُحْزِنَهُ الْمُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُنَافِقَتَيْنِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الإِيمَانَ بِهِ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ مَقْصُودُهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَيَتَّبِعُوا حُكْمَهُ بَلْ إِنْ حَكَمَ بِمَا يَهْوُونَهُ قَبِلُوهُ وَإِنْ حَكَمَ بِخِلَافِ ذَلِكَ لَمْ يَقْبَلُوهُ لِكَوْنِهِمْ مُطِيعِينَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أَيْ: لَمْ يَأْتِكَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ الآخَرُونَ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ أَيْ يَقُولُ السَّمَّاعُونَ: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[المَائِدَة: ٤١]

وَالْحُكْمُ يَفْتَقِرُ إِلَى الصِّدْقِ وَالعَدْلِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ صَادِقًا وَالحَاكِمُ عَادِلًا وَهَؤُلَاءِ يُصَدِّقُونَ الكَاذِبِينَ مِنَ الشُّهُودِ وَيَتَّبِعُونَ حُكْمَ الْمُخَالِفِينَ لِلرُّسُلِ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُمُ اتِّبَاعَ الصِّدْقِ وَالعَدْلِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِنْ شِئْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَحْكُمْ. وَلَكِنْ إِذَا حَكَمْتَ فَلَا تَحْكُمْ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ؛ إِذْ هُوَ العَدْلُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المَائِدَة: ٤٢].

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٤٣-٤٥].

فَهَذَا ثَنَاؤُهُ عَلَى التَّوْرَاةِ وَإِخْبَارُهُ أَنَّ فِيهَا حُكْمَ اللهِ وَأَنَّهُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَفِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَقَالَ عَقِبَ ذِكْرِهَا:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٤٤].

وَهَذَا أَعْظَمُ مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الإِنْجِيلِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي الإِنْجِيلِ: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المَائِدَة: ٤٦].

وَقَالَ فِيهِ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٤٧].

وَقَالَ فِي التَّوْرَاةِ: ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المَائِدَة: ٤٤].

وَقَالَ عَقِبَ ذِكْرِهَا: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المَائِدَة: ٤٤].

فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ إِخْبَارِهِ بِإِنْزَالِ الكِتَابَيْنِ يَصِفُ التَّوْرَاةَ بِأَعْظَمَ مِمَّا يَصِفُ بِهِ الإِنْجِيلَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [المَائِدَة: ٤٤].

obeikandl.com

وَإِذَا كَانَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَدْحِ مُوسَى وَالتَّوْرَاةِ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ مَدْحَ اليَهُودِ الَّذِينَ كَذَّبُوا المَسِيحَ وَمُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ فِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى دِينِ اليَهُودِ المُبَدَّلِ المَنْسُوخِ بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، فَكَذَلِكَ أَيْضًا مَا ذَكَرَهُ مِنْ مَدْحِ المَسِيحِ وَالإِنْجِيلِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحُ النَّصَارَى الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا وَبَدَّلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَاتَّبَعُوا المُبَدَّلَ المَنْسُوخَ، وَاليَهُودُ تُوَافِقُ المُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا ذَكَرَ مَدْحٌ لِلنَّصَارَى، وَالنَّصَارَى تُوَافِقُ المُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا ذَكَرَ مَدْحٌ لِلْيَهُودِ بَعْدَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ. فَعُلِمَ اتِّفَاقُ أَهْلِ المِلَلِ كُلِّهَا: المُسْلِمُونَ وَاليَهُودُ وَالنَّصَارَى عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيمَا ذُكِرَ فِي القُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَمُوسَى وَعِيسَى مَدْحٌ لِأَهْلِ الكِتَابِ الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَا مَدْحٌ لِدِينِهِمُ المُبَدَّلِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَدْحٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِدِينٍ مُبَدَّلٍ وَلَا بِدِينٍ مَنْسُوخٍ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَمَسَّكَ بِدِينٍ مُبَدَّلٍ مَنْسُوخٍ؟

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

قيام الحجة على من بلغته دعوة الرسل

وَهُنَا أَصْلٌ لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِهِ وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَى أَنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ إِلَّا مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا تَقُومُ بِهِ الحُجَّةُ عَلَيْهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٣-١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الملك: ٨-٩].

وَقَالَ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾.

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ [القَصَص: ٤٧-٤٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [المَائِدَة: ١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المَائِدَة: ١٩].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الحُجَّةَ إِنَّمَا تَقُومُ بِالقُرْآنِ عَلَى مَنْ بَلَغَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ فَمَنْ بَلَغَهُ بَعْضُ القُرْآنِ دُونَ بَعْضٍ قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِمَا بَلَغَهُ دُونَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ فَإِذَا اشْتَبَهَ مَعْنَى بَعْضِ الآيَاتِ وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ وَجَبَ رَدُّ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اجْتَهَدَ النَّاسُ فِي فَهْمِ مَا أَرَادَهُ الرَّسُولُ ﷺ فَالْمُصِيبُ لَهُ أَجْرَانِ وَالْمُخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ فَلَا يُمْنَعُ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الكِتَابِ قَبْلَنَا فَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ جَمِيعُ نُصُوصِ الكِتَابِ قَبْلَنَا لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ إِلَّا بِمَا بَلَغَهُ وَمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مَعْنَاهُ مِنْهُ فَاجْتَهَدَ فِي مَعْرِفَتِهِ، فَإِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَخَطَأُهُ مَحْطُوطٌ عَنْهُ فَأَمَّا مَنْ تَعَمَّدَ تَحْرِيفَ الكِتَابِ لَفْظِهِ أَوْ مَعْنَاهُ وَعَرَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَعَانَدَهُ فَهَذَا مُسْتَحِقٌّ لِلْعِقَابِ وَكَذَلِكَ مَنْ فَرَّطَ فِي طَلَبِ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ مُشْتَغِلًا عَنْ ذَلِكَ بِدُنْيَاهُ.

وَعَلَى هَذَا: فَإِذَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الكِتَابِ قَدْ حَرَّفُوا بَعْضَ الكِتَابِ وَفِيهِمْ آخَرُونَ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ فَهُمْ مُجْتَهِدُونَ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَمْ يَجِبْ أَنْ يُجْعَلَ هَؤُلَاءِ مِنَ المُسْتَوْجِبِينَ لِلْوَعِيدِ وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ فِي أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ جَمِيعَ مَا جَاءَ بِهِ المَسِيحُ بَلْ خَفِيَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا جَاءَ بِهِ أَوْ بَعْضُ مَعَانِيهِ فَاجْتَهَدَ لَمْ يُعَاقَبْ عَلَى مَا لَمْ يَبْلُغْهُ وَقَدْ تُحْمَلُ أَخْبَارُ اليَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ الإِيمَانَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ

أَهْلِ المَدِينَةِ كَابْنِ التَّيْهَانِ وَغَيْرِهِ عَلَى هَذَا وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُكَذِّبِينَ لِلْمَسِيحِ تَكْذِيبَ غَيْرِهِمْ مِنَ اليَهُودِ.

وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ هَلْ يُمْكِنُ مَعَ الِاجْتِهَادِ وَاسْتِفْرَاغِ الوُسْعِ أَنْ لَا يُبَيَّنَ لِلنَّاظِرِ المُسْتَدِلِّ صِدْقُ الرَّسُولِ أَمْ لَا؟

وَإِذَا لَمْ يُبَيَّنْ لَهُ ذَلِكَ هَلْ يَسْتَحِقُّ العُقُوبَةَ فِي الآخِرَةِ أَمْ لَا؟.

وَتَنَازَعَ بَعْضُ النَّاسِ فِي المُقَلِّدِ مِنْهُمْ أَيْضًا، وَالكَلَامُ فِي مَقَامَيْنِ:

المَقَامُ الأَوَّلُ: فِي بَيَانِ خَطَأِ المُخَالِفِ لِلْحَقِّ وَضَلَالِهِ وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِطُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَقْلِيَّةٍ وَسَمْعِيَّةٍ وَقَدْ يُعْرَفُ الخَطَأُ فِي أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ المُخَالِفِينَ لِلْحَقِّ وَغَيْرِ أَهْلِ القِبْلَةِ بِأَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الدَّلَائِلِ.

وَالمَقَامُ الثَّانِي: الكَلَامُ فِي كُفْرِهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِمُ الوَعِيدَ فِي الآخِرَةِ.

فَهَذَا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِلنَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ المَشْهُورِينَ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ لَهُمُ الأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ.

قِيلَ: إِنَّهُ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ وَإِنْ لَمْ يُرْسَلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ لِقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ بِالعَقْلِ، وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَقُولُ بِالحُكْمِ العَقْلِيِّ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ وَالفِقْهِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي الخَطَّابِ[1].

---

(١) هو محفوظ بن أحمد الكلوذاني نسبة إلى كلوذان من ضواحي بغداد ولد سنة ٤٣٢هـ وتوفي عام ٥١٠هـ، وهو إمام الحنابلة في عصره، وهو أحد تلاميذ القاضي أبي يعلى، وكان واسع العلم قوي الإدراك.

وَقِيلَ: لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ بِالعَقْلِ بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَذَّبَ مَنْ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ حُجَّةٌ لَا بِالشَّرْعِ وَلَا بِالعَقْلِ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ يُجَوِّزُ تَعْذِيبَ أَطْفَالِ الكُفَّارِ وَمَجَانِينِهِمْ، وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ كَالجَهْمِ وَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ[١] وَأَصْحَابِهِ وَالقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَابْنِ عَقِيلٍ[٢] وَغَيْرِهِمْ.

وَالقَوْلُ الثَّالِثُ: وَعَلَيْهِ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ: إِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ إِلَّا مَنْ بَلَغَتْهُ الرِّسَالَةُ وَلَا يُعَذَّبُ إِلَّا مَنْ خَالَفَ الرُّسُلَ؛ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، قَالَ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَحْنُ فِيمَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَهْلَ الكِتَابِ: مُتَقَدِّمِيهِمْ وَمُتَأَخِّرِيهِمْ تَارَةً نَتَكَلَّمُ فِي المَقَامِ الأَوَّلِ وَهُوَ بَيَانُ مُخَالَفَتِهِمْ لِلْحَقِّ وَجَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فَهَذَا تَنْبِيهٌ لِجَمِيعِ الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ، وَتَارَةً نُبَيِّنُ كُفْرَهُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَ بِهِ العَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَهَذَا أَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهِ إِلَّا بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ؛ كَمَا أَنَّا أَيْضًا لَا نَشْهَدُ بِالإِيمَانِ وَالجَنَّةِ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَتْ لَهُ الرُّسُلُ وَمَنْ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ فِي الدُّنْيَا بِالرِّسَالَةِ كَالأَطْفَالِ وَالمَجَانِينِ وَأَهْلِ الفَتَرَاتِ[٣] فَهَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَقْوَالٌ أَظْهَرُهَا مَا جَاءَتْ بِهِ الآثَارُ أَنَّهُمْ يُمْتَحَنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَأْمُرُهُمْ بِطَاعَتِهِ، فَإِنْ أَطَاعُوهُ اسْتَحَقُّوا الثَّوَابَ وَإِنْ عَصَوْهُ اسْتَحَقُّوا العِقَابَ.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَحْنُ نَشْهَدُ لِمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِمُوسَى مُتَّبِعًا لَهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ مُسْتَحِقٌّ لِلثَّوَابِ.

---

(١) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل أبي موسى الأشعري ولد سنة ٢٦٠هـ في البصرة، وكان معتزليًا ثم رجع عن ذلك وجاهر بخلافهم، ورجع إلى مذهب أهل السنة توفي ٣٢٤هـ.

(٢) هو علي بن محمد بن عقيل البغدادي، قاضي القضاة، وعالم العراق، وشيخ الحنابلة، ولد ٤٣٢هـ، وله تصانيف كثيرة، وهو ممن كان يحافظ على وقته جدًا، حتى ترك ميراثًا كبيرًا من العلم توفي سنة ٥١٣هـ.

(٣) لي رسالة بعنوان «أحكام أهل الفترة» توسعت فيها في هذا الباب وهي قيد الطبع.

وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِالمَسِيحِ مُتَّبِعًا لَهُ، وَنَشْهَدُ لِمَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِمُوسَى فَلَمْ يَتَّبِعْهُ كَآلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الحُجَّةُ بِالمَسِيحِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المَائِدَة: ١١٥].

وَالَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عِمْرَان: ٥٥-٥٧].

وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ عَهْدُهُ بِالمَسِيحِ وَبَلَغَتْهُ بَعْضُ أَخْبَارِهِ دُونَ بَعْضٍ أَوْ بِمُوسَى وَبَلَغَهُ أَخْبَارُهُ دُونَ بَعْضٍ، فَهَؤُلَاءِ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ بِمَا بَلَغَهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ دُونَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ، وَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ بَعْضِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ فَمَنْ قَصَدَ الحَقَّ وَاجْتَهَدَ فِي طَلَبِهِ لَمْ يَجِبْ أَنْ يُعَذَّبَ وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا لِلْحَقِّ جَاهِلًا بِهِ ضَالًّا عَنْهُ كَالْمُجْتَهِدِ فِي طَلَبِ الحَقِّ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَعَلَى هَذَا فَإِذَا قِيلَ: إِنَّ الحَوَارِيِّينَ أَوْ بَعْضَهُمْ أَوْ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ المَسِيحَ نَفْسَهُ صُلِبَ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الخَطَأُ مِمَّا يَقْدَحُ فِي إِيمَانِهِمْ بِالمَسِيحِ إِذَا آمَنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ وَلَا يُوجِبُ لَهُمُ النَّارَ، فَإِنَّ الأَنَاجِيلَ الَّتِي بِأَيْدِي أَهْلِ

الكِتَابِ فِيهَا ذِكْرُ صَلْبِ المَسِيحِ وَعِنْدَهُمْ أَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ عَنِ الأَرْبَعَةِ مُرْقُسَ (١) وَلُوقَا (٢) وَيُوحَنَّا (٣) وَمَتَّى (٤) وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَرْبَعَةِ مَنْ شَهِدَ صَلْبَ المَسِيحِ وَلَا مِنَ الحَوَارِيِّينَ بَلْ وَلَا فِي أَتْبَاعِهِ مَنْ شَهِدَ صَلْبَهُ وَإِنَّمَا الَّذِينَ شَهِدُوا الصَّلْبَ طَائِفَةٌ مِنَ اليَهُودِ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُمْ: عَلِمُوا أَنَّ المَصْلُوبَ غَيْرُهُ وَتَعَمَّدُوا الكَذِبَ فِي أَنَّهُمْ صَلَبُوهُ وَشُبِّهَ صَلْبُهُ عَلَى مَنْ أَخْبَرُوهُمْ وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ (٥)

(١) **مرقس**: اسم لاتيني معناه (مطرقة) وهو من السبعين الذين يقال: أن المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اختارهم، وأرسلهم ليعلموا المسيحية، وقد طاف البلاد داعيًا ثم اتخذ مصر مقرًا له، وكان يهوديًا من بيت لاوي، ثم تتلمذ على يد بطرس، ومات مقتولًا كما في «سفر الأعمال» في الإسكندرية سنة ٦٨ قتله الوثنيون في عهد نيرون من ملوك الرومان، وقد ألف الإنجيل لطلب أهل رومية لذلك فيما بين عامي ٦٠-٧٠م.

(٢) **لوقا**: اسم لاتيني ربما كان اختصار «لوقانوس» وهو تلميذ بولس الذي كان عدوًا للنصارى ثم أصبح رسولًا لهم، وهو من أهل أنطاكية ولم ير المسيح وليس من الحواريين، ولا من تلاميذهم. كان طبيبًا، وقيل: مصورًا كتب إنجيله باللغة اليونانية فيما بين عامي ٦٠-٧٠م، وهو رسالة إلى صديقه (ثاوفيلس) كما أعلن هو عن ذلك في الإصحاح الأول منه، وقد ذكر المحققون من المسحيين أنه ليس إلهامًا.

(٣) يوحنا أحد الحواريين الاثنى عشر، ولد في صيدا من أعمال الخليل، وهو ابن زيدي الصياد، وأخو يعقوب الكبير، كان صيادًا ثم اتبع المسيح، نفاه القيصر (دوميتان) إلى جزيرة بطمس من جزر بحر إيجه ثم عاد إلى أفسس ولبث بها مبشرًا، ثم مات شيخًا، كتب إنجيله باليونانية، وعرض فيه ليسوع المسيح من وجهة نظر اللاهوتية، ويتصف إنجيل يوحنا بالطابع الفلسفي الذي يعد روح المدرسة الإسكندرية.

(٤) **متى**: من الاسم العبري (مثيا) الذي معناه (عطية يهوه) أحد الحواريين الذين آمنوا بالمسيح، وعاونوه، وتتلمذوا عليه، وعددهم اثنا عشر، وقد ورد ذلك في الإصحاح العاشر ص [١-٤] من «إنجيل متى»، ويعرف بمتى العشار حيث كان عشارًا، أي: من جباة الضرائب للحاكم الروماني في ذلك الوقت، وكان يهوديًا ثم آمن بدعوة المسيح، وترك وظيفة العشارين، وقد كتب إنجيله بالعبرية ثم فقد هذا الإنجيل حسبما ذكر صاحب كتاب «الفارق بين المخلوق والخالق»، وترجم بعد ذلك باللغة اليونانية، ولم يعلم متى ترجم، ومن هو المترجم، وتثار حوله شكوك كثيرة، مات متى سنة ٧٩م ببلاد الحبشة.

(٥) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، كان فقيهًا، حافظًا، زاهدًا، متواضعًا، متفننًا في علوم جمة، صاحب تصانيف كثيرة منها «المحلى» في الفقه في أحد عشر جزءًا، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» في خمسة أجزاء وجمهرة الأنساب وغيرها من المؤلفات الكثيرة مات رحمه الله سنة ٤٥٦هـ.

وَغَيرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بَلِ اشْتَبَهَ عَلَى الَّذِينَ صَلَبُوهُ وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَالأَوَّلُونَ يَقُولُونَ إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النِّسَاء:١٥٧]، أَيْ: شُبِّهَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَخْبَرَهُمْ أُولَئِكَ بِصَلْبِهِ.

الجُمْهُورُ يَقُولُونَ: بَلْ شُبِّهَ لِلَّذِينَ يَقُولُونَ صَلَبُوهُ كَمَا قَدْ ذُكِرَتِ القِصَّةُ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ. وَالمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا المَقَامِ عَلَى طَرَفَيْنِ وَوَسَطٍ:

أَمَّا الطَّرَفُ الوَاحِدُ: فَهُمُ الغُلَاةُ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّ الحَوَارِيِّينَ كَانُوا مَعْصُومِينَ فِيمَا يَقُولُونَهُ وَيَرْوُونَهُ وَيَرَوْنَهُ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ بِتَصْوِيبِ عُلَمَاءِ النَّصَارَى فِيمَا يَقُولُونَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الإِنْجِيلِ.

وَالطَّرَفُ الآخَرُ يَقُولُ: بَلْ كُلُّ مَنْ غَلَطَ وَأَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْوَعِيدِ بَلْ كَافِرٌ.

وَالثَّالِثُ الوَسَطُ: أَنَّهُمْ لَا يُعْصَمُونَ وَلَا يُؤَثَّمُونَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُخْطِئِينَ خَطَأً مَغْفُورًا لَهُمْ إِذَا كَانُوا مُجْتَهِدِينَ فِي مَعْرِفَةِ الحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ بِحَسَبِ وُسْعِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ وَكُتُبُ اللهِ تَدُلُّ عَلَى ذَمِّ الضَّالِّ وَالجَاحِدِ وَمَقْتِهِ مَعَ أَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ إِلَّا بَعْدَ إِنْذَارِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**»(١).

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَقَتَهُمْ إِلَّا هَؤُلَاءِ البَقَايَا، وَالمَقْتُ هُوَ البُغْضُ، بَلْ أَشَدُّ البُغْضِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَخْبَرَ فِي القُرْآنِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبَهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَقَالَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإِسْرَاء:١٥].

---

(١) رواه مسلم، وقد سبق.

وَقَالَ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤].

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُقْتَضِيَ لِعَذَابِهِمْ قَائِمٌ، وَلَكِنَّ شَرْطَ الْعَذَابِ هُوَ بُلُوغُ الرِّسَالَةِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ٦٥].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، بَعَثَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَمَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»[(١)].

وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي حُسْنِ الأَفْعَالِ وَقُبْحِهَا، كَحُسْنِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ وَالصِّدْقِ، وَقُبْحِ الظُّلْمِ وَالشِّرْكِ وَالكَذِبِ هَلْ يُعْلَمُ بِالعَقْلِ أَمْ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمْعِ؟ وَإِذَا قِيلَ: إِنَّهُ يُعْلَمُ بِالعَقْلِ فَهَلْ يُعَاقَبُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ رَسُولٌ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ فِي أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ لِأَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ.

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يُعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا بِالشَّرْعِ لَا بِالعَقْلِ، وَهَذَا قَوْلُ نُظَّارِ الْمُجْبِرَةِ كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَأَمْثَالِهِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ كَالقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ[(٢)]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وفي الرد على الفرق، وجهه عضد الدولة سفيرًا إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصارى انتصر فيها عليهم. ومن كتبه «إعجاز القرآن» و«الملل والنحل» و«تمهيد الدلائل»، و«كشف أسرار الباطنية» وغيرها. مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٤٠٣هـ.

وَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ حَامِدٍ[١] وَالقَاضِي أَبِي يَعْلَى وَأَبِي المَعَالِي[٢] وَأَبِي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ وَغَيْرِهِمْ، وَقِيلَ: بَلْ قَدْ يُعْلَمُ حُسْنُ الأَفْعَالِ وَقُبْحُهَا بِالعَقْلِ.

قَالَ أَبُو الخَطَّابِ مَحْفُوظُ بْنُ أَحْمَدَ: وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الفُقَهَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ.

وَهَذَا هُوَ المَنْقُولُ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ نَفْسِهِ وَعَلَيْهِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَأَهْلِ الحَدِيثِ كَأَبِي الحَسَنِ التَّمِيمِيِّ[٣] وَأَبِي الخَطَّابِ وَأَبِي بَكْرٍ القَفَّالِ[٤] وَأَبِي نَصْرٍ السِّجْزِيِّ[٥] وَأَبِي القَاسِمِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ الزَّنْجَانِيِّ[٦] وَهُوَ قَوْلُ

---

(١) الحسن بن حامد بن علي، أبو عبد الله البغدادي. وإمام الحنابلة في زمانه، ومدرسهم، وفقيههم، اشتهر بزهده وورعه، من أصحابه القاضي أبو يعلى، وأبو إسحاق وغيرهما، وقد انتفع به خلق كثير. من تصانيفه: «الجامع في المذهب الحنبلي» و«شرح الخرقي»، و«تهذيب الأجوبة» وغيرها مات سنة ٤٠٣هـ.

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين. ولد سنة ٤١٩هـ في جوين من نواحي نيسابور، من أصحاب الشافعي، عالم متفنن في العلوم من الأصول والفروع. كثير الرحلات، وهو من المتكلمين، ونقل في «الشذرات» جملة من كلامه في العقيدة النظامية كدليل على رجوعه عن مذاهب المتكلمين. له تصانيف كثيرة منها: «الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد والعقيدة النظامية»، و«غياث الأمم»؛ وغيرها. مات سنة ٤٧٨هـ.

(٣) أبو الحسن التميمي عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنبلي. فقيه، أصولي فرضي له تصانيف كثيرة في الفقه والفرائض وأصول الفقه وسمع الحديث، وروى عن غير واحد، وهو من أصحاب الإمام أحمد مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٣٧١هـ.

(٤) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، أبو بكر ولد سنة ٢٩١هـ. فقيه شافعي، إمام عصره، كان فقيهًا محدثًا، أصوليًا، لغويًا، شاعرًا. له مصنفات كثيرة في أصول الفقه وفي الفقه مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٣٦٥ في شاش وراء نهر سيحون.

(٥) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، أبو نضر من حفاظ الحديث أصله من سجستان، ونسبته إليها على غير قياس. كان متقنًا، مكثرًا بصيرًا بالحديث والسنة، واسع الرحلة، زاهدًا، له كتب منها «الإبانة عن أصول الديانة» في الحديث مات سنة ٤٤٤هـ.

(٦) الزنجاني، بالزاي المعجمة والنون والجيم المعجمتين وهو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، شيخ الحرم، كان إمامًا حافظًا متعبدًا، قدوة عالمًا زاهدًا نزيل الحرم، وصفه المقدسي «بأنه أعرف من رأى بالحديث» مات سنة ٤٧١هـ عن ٩٠ سنة.

الكَرَّامِيَّةِ[١] وَغَيْرِهِمْ مِنْ نُظَّارِ المُثْبِتَةِ لِلْقَدَرِ وَهُوَ قَوْلُ المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ نُظَّارِ القَدَرِيَّةِ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ عَلَى قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَسْتَحِقُّونَ عَذَابَ الآخِرَةِ بِمُجَرَّدِ مُخَالَفَتِهِمْ لِلْعَقْلِ كَقَوْلِ المُعْتَزِلَةِ وَالحَنَفِيَّةِ وَأَبِي الخَطَّابِ، وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ لَا يُعَذَّبُونَ حَتَّى يُبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ؛ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. لَكِنَّ أَفْعَالَهُمْ تَكُونُ مَذْمُومَةً مَمْقُوتَةً يَذُمُّهَا اللهُ وَيُبْغِضُهَا وَيُوصَفُونَ بِالكُفْرِ الَّذِي يَذُمُّهُ اللهُ وَيُبْغِضُهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُعَذِّبُهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ كَمَا تَقَدَّمَ: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: لِي قُمْ فِي قُرَيْشٍ، فَأُنْذِرَهُمْ، قُلْتُ: إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي حَتَّى يَدَعُوهُ خُبْزَةً**».

قَالَ: «**إِنِّي مُبْتَلِيكَ وَمُبْتَلٍ بِكَ وَمُنْزِلٌ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ المَاءُ تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ فَابْعَثْ جُنْدًا أَبْعَثْ مِثْلَيْهِمْ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ وَأَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[٢].

وَقَالَ: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**».

---

(١) إحدى فرق المرجئة، وهم أصحاب محمد بن كرام، قال في «اللباب»: بفتح أوله، والراء المشددة النسبة إليه كرامي، وقد كان أبوه يحفظ الكرم فقيل له كرام، وقال عنه الذهبي: عابد متكلم شيخ الكرامية، وله أتباع، ومريدون وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمانية أعوام، ثم خرج وسار إلى بيت المقدس، ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ ومن مذهب الكرامية أن الإيمان قول اللسان دون اعتقاد القلب، وعمل الجوارح فمن أقر بلسانه فهو مؤمن حقًا، وإن اعتقد بقلبه ما شاء من الشرك، وجحدوا العبادات، وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦٢) ومسلم (٤/ ٢١٩٧-٢١٩٨) [٦٣] وقد سبق.

(٣) جزء من حديث عياض بن حمار الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما وقد سبق.

وَفِي رِوَايَةٍ: «**عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ؛ كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(١). وَمَعَ مَقْتِ اللهِ لَهُمْ فَقَدْ أَخْبَرَ

---

(١) أخرجه أحمد [٧١٨١] ومسلم [٢٦٥٨]، [٢٢] من طريق معمر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة بلفظ «**كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**».

وأخرجه مسلم [٢٦٥٨] [٢٢] من طريق محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري، به.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣٠٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن سعيد بن المسيب، به.

وأخرجه مسلم [٢٦٥٨] [٢٥] من طريق عبد الرحمن مولى الحرقة، وأبو يعلى [٦٣٩٤] وابن حبان [١٢٨] من طريق حميد بن عبد الرحمن، وأبو يعلى [٦٥٩٣] من طريق المقبري، والخطيب (٧/ ٣٥٥) من طريق عمار مولى بني هاشم، أربعتهم عن أبي هريرة.

وأخرجه أحمد [٧٤٤٣] من طريق أبي معاوية ووكيع ومحمد بن عبيد وابن نمير كلهم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «**ليس مولودٌ يولد إلا على هذه الملة**» وقال وكيع مرة: «**على الملة**».

ورواه أحمد [٧٤٤٤] زوائد، عن أبي حمزة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «**لا يولد مولد إلا على هذه الملة**» الحديث.

وأخرجه أحمد [٧٤٤٥] عن أبي معاوية عن الأعمش بلفظ «**ما من مولدٍ يولد إلا على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يشركانه**» قالوا: يا رسول الله! فكيف ما كان قبل ذلك؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وأخرجه مسلم [٢٦٥٨] [٢٣] والآجري في «الشريعة» ص[١٩٤] والبيهقي (٦/ ٢٠٣) من طريق أبي معاوية وحده، بهذا الإسناد.

وأخرجه الترمذي [٢١٣٨] والبغوي [٨٥] من طريق وكيع وحده، بهذا الإسناد.

وأخرجه مسلم [٢٦٥٨] [٢٣] من طريق ابن نمير وحده، به.

وأخرجه مسلم [٢٦٥٨] [٢٣] والترمذي [٢١٣٨] والآجري ص[١٩٤] وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦) من طرق عن الأعمش، به.

وأخرجه الطحاوي في «شرح المشكل» [١٣٩٣] وابن حبان [١٢٩] من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه، به. وقال: «**يولد على الفطرة**». =

أَنَّـهُ لَمْ يَكُنْ لِيُعَذِّبَهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُـولًا وَهَذَا يَدُلُّ عَـلَى إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ

= وأخرجه أحمد [٧٧٩٥] وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٢٨) من طريق عمر بن حبيب عن عمرو ابن دينار عن طاوس عن أبي هريرة بلفظ:

«**كل مولود ولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، مثل الأنعام، تنتج صحاحًا فيبتلون آدانها**».

وإسناده صحيح، وقد تابع عمر بن حبيب على هذه الرواية سفيان بن عيينة فرواه الحميدي [١١١٣] من طريقه عن عمرو بن دينار، به.

وأخرجه أحمد [٨١٧٩] والبخاري [٦٥٩٩] ومسلم [٢٦٥٨] [٢٤] والبيهقي (٦/ ٢٠٣) والبغوي [٨٤] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة بلفظ: «**ما من مولودٍ يولد إلا على هذه الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، كما تنتجون الإبل، فهل تجدون فيها جدعاء حتى تكونوا أنتهم تجدعونها؟**» قالوا: يا رسول الله! أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وأخرجه أحمد [٩١٠٢] والبخاري [١٣٨٥] من طريق ابن أبي ذئب.

والبخاري [١٣٥٩]، [٤٧٧٥] ومسلم بإثر [٢٦٥٨] من طريق يونس بن يزيد و[١٣٥٨] من طريق شعيب بن أبي حمزة، ثلاثتهم عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «**كل مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل تكون فيها جدعاء؟!**» إلا أن شعيبًا لم يذكر الراوي عن الزهري.

وأخرجه أحمد [٨٥٦٢] من طريق حماد بن سلمة عن قيس، عن طاوس عن أبي هريرة بلفظ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه كما تنتجون أنعامكم، هل تكون فيها جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها**» قال رجل: فأين هم؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» وإسناده صحيح.

وفي الباب حديث جابر بلفظ: «**كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فإذا أعرب عنه لسانه، إما شاكرًا وإما كفورًا**».

أخرجه أحمد [١٤٨٠٥] من طريق أبي جعفر عيسى بن أبي عيسى الرازي عن الربيع بن أنس عن الحسن عن جابر، به.

وإسناده ضعيف، به أكثر من علة، الأولى: أن أبا جعفر سيء الحفظ غير أن روايته عن الربيع مضطربة، الثانية: عنعنة الحسن، وأنه لم يسمع من جابر على الصحيح.

وفي الباب حديث الأسود بن سريع بلفظ: «**ما حملكم على قتل الذرية؟**» قالوا: يا رسول الله! إنما كانوا أولاد المشركين. قال: «**أو هل خياركم إلا أولاد المشركين؟ والذي نفس محمدٍ بيده ما من نسمةٍ تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها**». =

يَكُونُوا مُسِيئِينَ وَلَا مُرْتَكِبِينَ لِقَبِيحٍ حَتَّى جَاءَ السَّمْعُ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: أَنَّهُمْ كَانُوا مُعَذَّبِينَ بِدُونِ السَّمْعِ إِمَّا لِقِيَامِ الحُجَّةِ بِالعَقْلِ؛ كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَإِمَّا لِمَحْضِ المَشِيئَةِ؛ كَمَا يَقُولُهُ المُجْبِرَةُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القَصَص: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القَصَص: ٤٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤].

= أخرجه أحمد [١٥٥٨٨]، [١٥٥٨٩] وعبد الرزاق [٢٠٠٩٠] وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٨٦) وأبو يعلى [٩٤٢] والطحاوي [١٣٩٦] والطبراني في «الكبير» [٨٢٦]، [٨٢٨] [٨٣٠] [٨٣١] [٨٣٢] [٨٣٤] [٨٣٥] وفي «الأوسط» [٢٠٠٥] وابن أبي عاصم في «الآحاد» [١١٦٠] والنسائي «كبرى» [٨٦١٦] والدارمي (٢/ ٢٢٣) والحاكم (٢/ ١٢٣) والبيهقي (٩/ ٧٧) من طرق عن الحسن عن الأسود، به.

وقد صرح الحسن بسماعه عند النسائي والحاكم وغيرهما، ومال الطحاوي لصحة السماع والحديث، لكن الزيلعي شك في ذلك وأول السماع، ولعل قول الزيلعي أصوب فالحديث فيه انقطاع، والله أعلم.

ومن هذا التخريج يعلم أن قوله: «قيل: يا رسول الله! أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟» ليست من الحديث السابق وإنما ذلك حديث آخر.

وقد روى أحمد [٧٥٢٠] والطيالسي [٢٣٨٢] والبخاري [١٣٨٤] [٦٥٩٨] ومسلم [٢٦٥٩] [٢٦] والنسائي (٤/ ٥٨) وابن حبان [١٣١] والآجري في «الشريعة» ص[١٩٤] والخطيب (٩/ ٣٤١) من طرق عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة بلفظ: «سئل عن أولاد المشركين، فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

وأخرجه الحميدي [١١١١]، [١١١٣] وأحمد [٧٣٢٥] ومسلم [٢٦٥٩] من طريق أبي الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة، به.

وفي الباب حديث ابن عباس عند أحمد والبخاري وغيرهما.

فَهَـذَا يُبَـيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يَكُـنْ لِيُعَذِّبَ الكُفَّـارَ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُـولًا، وَبَـيَّنَ أَنَّهُمْ قَبْلَ الرَّسُـولِ كَانُوا قَدِ اكْتَسَـبُوا الأَعْمَالَ الَّتِي تُوجِبُ المَقْتَ وَالذَّمَّ وَهِيَ سَـبَبٌ لِلْعَذَابِ، لَكِنْ شَرْطُ العَذَابِ قِيَامُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالرِّسَالَةِ.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

أسباب ضلال النصارى وأشباههم

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ سَبَبَ ضَلَالِ النَّصَارَى وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الغَالِيَةِ كَغَالِيَةِ العُبَّادِ وَالشِّيعَةِ وَغَيْرِهِمْ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: أَلْفَاظٌ مُتَشَابِهَةٌ مُجْمَلَةٌ مُشْكِلَةٌ مَنْقُولَةٌ عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَعَدَلُوا عَنِ الأَلْفَاظِ الصَّرِيحَةِ الْمُحْكَمَةِ وَتَمَسَّكُوا بِهَا وَهُمْ كُلَّمَا سَمِعُوا لَفْظًا لَهُمْ فِيهِ شُبْهَةٌ تَمَسَّكُوا بِهِ وَحَمَلُوهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ، وَالأَلْفَاظُ الصَّرِيحَةُ الْمُخَالِفَةُ لِذَلِكَ إِمَّا أَنْ يُفَوِّضُوهَا، وَإِمَّا أَنْ يَتَأَوَّلُوهَا كَمَا يَصْنَعُ أَهْلُ الضَّلَالِ، يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ مِنَ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ وَيَعْدِلُونَ عَنِ الْمُحْكَمِ الصَّرِيحِ مِنَ القِسْمَيْنِ.

وَالثَّانِي: خَوَارِقُ ظَنُّوهَا آيَاتٍ وَهِيَ مِنْ أَحْوَالِ الشَّيَاطِينِ وَهَذَا مِمَّا ضَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الضُّلَّالِ الْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ، مِثْلُ دُخُولِ الشَّيَاطِينِ فِي الأَصْنَامِ وَتَكْلِيمِهَا لِلنَّاسِ، وَمِثْلُ إِخْبَارِ الشَّيَاطِينِ لِلْكُهَّانِ بِأُمُورٍ غَائِبَةٍ وَلَا بُدَّ لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ كَذِبٍ وَمِثْلُ تَصَرُّفَاتٍ تَقَعُ مِنَ الشَّيَاطِينِ.

وَالثَّالِثُ: أَخْبَارٌ مَنْقُولَةٌ إِلَيْهِمْ ظَنُّوهَا صِدْقًا وَهِيَ كَذِبٌ وَإِلَّا فَلَيْسَ مَعَ النَّصَارَى وَلَا غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ عَلَى بَاطِلِهِمْ لَا مَعْقُولٌ صَرِيحٌ وَلَا مَنْقُولٌ صَحِيحٌ، وَلَا آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ بَلْ إِنْ تَكَلَّمُوا بِمَعْقُولٍ تَكَلَّمُوا بِأَلْفَاظٍ مُتَشَابِهَةٍ مُجْمَلَةٍ. فَإِذَا اسْتَفْسَرُوا عَنْ مَعَانِي تِلْكَ الكَلِمَاتِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ حَقِّهَا وَبَاطِلِهَا تَبَيَّنَ مَا فِيهَا مِنَ التَّلْبِيسِ وَالاِشْتِبَاهِ.

وَإِنْ تَكَلَّمُوا بِمَنْقُولٍ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا لَكِنْ لَا يَدُلُّ عَلَى بَاطِلِهِمْ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ صَحِيحٍ ثَابِتٍ بَلْ مَكْذُوبٍ.

وَكَذَلِكَ مَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا قَدْ ظَهَرَ عَلَى يَدِ نَبِيٍّ كَمُعْجِزَاتِ المَسِيحِ وَمَنْ قَبْلَهُ كَإِلْيَاسَ وَاليَسَعَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَكَمُعْجِزَاتِ مُوسَى فَهَذِهِ حَقٌّ.

وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ كَالحَوَارِيِّينَ وَذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ كَالأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ وَلَا يَسْتَقِرُّ فِي كَلَامِهِمْ بَاطِلٌ لَا عَمْدًا وَلَا خَطَأً.

وَأَمَّا الصَّالِحُونَ: فَقَدْ يَغْلَطُ أَحَدُهُمْ وَيُخْطِئُ مَعَ ظُهُورِ الخَوَارِقِ عَلَى يَدَيْهِ وَذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا وَلَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا إِذَا كَانَ هُوَ لَمْ يَدَّعِ العِصْمَةَ وَلَمْ يَأْتِ بِالآيَاتِ دَالَّةً عَلَى ذَلِكَ.

وَلَوِ ادَّعَى العِصْمَةَ وَلَيْسَ بِنَبِيٍّ لَكَانَ كَاذِبًا لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ كَذِبُهُ وَتَقْتَرِنَ بِهِ الشَّيَاطِينُ فَتُضِلُّهُ وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.
[الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]

وَالنَّصَارَى عِنْدَهُمْ مَنْقُولٌ فِي الأَنَاجِيلِ أَنَّ الَّذِي صُلِبَ وَدُفِنَ فِي القَبْرِ رَآهُ بَعْضُ الحَوَارِيِّينَ وَغَيْرُهُمْ بَعْدَ أَنْ دُفِنَ قَامَ مِنْ قَبْرِهِ رَأَوْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَأَرَاهُمْ مَوْضِعَ المَسَامِيرِ وَقَالَ: لَا تَظُنُّوا أَنِّي شَيْطَانٌ.

وَهَذَا إِذَا كَانَ صَحِيحًا فَذَاكَ شَيْطَانٌ ادَّعَى أَنَّهُ المَسِيحُ وَالتَبَسَ عَلَى أُولَئِكَ، وَمِثْلُ هَذَا قَدْ جَرَى لِخَلْقٍ عَظِيمٍ فِي زَمَانِنَا وَقَبْلَ زَمَانِنَا كَنَاسٍ كَانُوا بِـ "تَدْمُرَ" فَرَأَوْا شَخْصًا عَظِيمًا طَائِرًا فِي الهَوَاءِ وَظَهَرَ لَهُمْ مَرَّاتٍ بِأَنْوَاعٍ مِنَ اللِّبَاسِ وَقَالَ: لَهُمْ أَنَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأَمَرَهُمْ بِأُمُورٍ يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْمُرَ بِهَا المَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَضَرُوا إِلَى عِنْدِ النَّاسِ وَبَيَّنُوا لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ شَيْطَانٌ أَرَادَ أَنْ يُضِلَّهُمْ.

وَآخَرُونَ يَأْتِي أَحَدُهُمْ إِلَى قَبْرِ مَنْ يُعَظِّمُهُ وَيُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ فَتَارَةً يَرَى القَبْرَ قَدِ انْشَقَّ وَخَرَجَ مِنْهُ إِنْسَانٌ عَلَى صُورَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَتَارَةً يَرَى ذَلِكَ الإِنْسَانَ قَدْ دَخَلَ فِي القَبْرِ وَتَارَةً يَرَاهُ إِمَّا رَاكِبًا وَإِمَّا مَاشِيًا دَاخِلًا إِلَى مَكَانِ ذَلِكَ المَيِّتِ كَالقُبَّةِ المَبْنِيَّةِ عَلَى القَبْرِ وَتَارَةً يَرَاهُ خَارِجًا مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ وَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَقَدْ يَظُنُّ أَنَّ قَوْمًا اسْتَغَاثُوا بِهِ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ وَهَذَا جَرَى لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُهُمْ وَتَارَةً يَسْتَغِيثُ أَقْوَامٌ بِشَخْصٍ يُحْسِنُونَ بِهِ الظَّنَّ إِمَّا مَيِّتٌ وَإِمَّا غَائِبٌ فَيَرَوْنَهُ بِعُيُونِهِمْ قَدْ جَاءَ وَقَدْ يُكَلِّمُهُمْ وَقَدْ يَقْضِي بَعْضَ حَاجَاتِهِمْ فَيَظُنُّونَهُ ذَلِكَ الشَّخْصَ المَيِّتَ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ زَعَمَ أَنَّهُ هُوَ وَلَيْسَ هُوَ إِيَّاهُ وَكَثِيرًا مَا يَأْتِي الشَّخْصُ بَعْدَ المَوْتِ فِي صُورَةِ المَيِّتِ فَيُحَدِّثُهُمْ وَيَقْضِي دُيُونًا وَيَرُدُّ وَدَائِعَ وَيُخْبِرُهُمْ عَنِ المَوْتَى وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ المَيِّتُ نَفْسُهُ قَدْ جَاءَ إِلَيْهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ.

وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا لَا سِيَّمَا فِي بِلَادِ الشِّرْكِ كَبِلَادِ الهِنْدِ وَنَحْوِهَا، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ تَرَاهُ أَنْتَ تَحْتَ سَرِيرِهِ آخِذٌ بِيَدِ ابْنِهِ فِي الجِنَازَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِذَا مُتُّ فَلَا تَدَعُوا أَحَدًا يُغَسِّلُنِي، فَأَنَا آتِي مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ أُغَسِّلُ نَفْسِي فَيَأْتِي بَعْدَ المَوْتِ شَخْصٌ فِي الهَوَاءِ عَلَى صُورَتِهِ يُغَسِّلُهُ هُوَ وَالَّذِي أَوْصَاهُ وَيَظُنُّ ذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ، وَتَارَةً يَرَى أَحَدُهُمْ شَخْصًا إِمَّا طَائِرًا فِي الهَوَاءِ وَإِمَّا عَظِيمَ الخِلْقَةِ وَإِمَّا أَنْ يُخْبِرَهُ بِأَشْيَاءَ غَائِبَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَيَقُولَ لَهُ: أَنَا الخَضِرُ وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا كَذَبَ عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّائِي مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالعِبَادَةِ وَقَدْ جَرَى هَذَا لِغَيْرِ وَاحِدٍ، وَتَارَةً يَرَى عِنْدَ قَبْرِ نَبِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ أَنَّ المَيِّتَ قَدْ خَرَجَ إِمَّا مِنْ حُجْرَتِهِ وَإِمَّا مِنْ قَبْرِهِ وَعَانَقَ ذَلِكَ الزَّائِرَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَيَكُونُ شَيْطَانًا تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ، وَتَارَةً يَجِيءُ مَنْ يَجِيءُ إِلَى عِنْدِ قَبْرِ ذَلِكَ الشَّخْصِ فَيَسْتَأْذِنُهُ فِي أَشْيَاءَ وَيَسْأَلُهُ عَنْ أُمُورٍ فَيُخَاطِبُهُ شَخْصٌ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا يَرَى شَخْصًا وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا أَضَلَّهُ.

وَقَدْ يَرَى أَشْخَاصًا فِي اليَقَظَةِ إِمَّا رُكْبَانًا وَإِمَّا غَيْرَ رُكْبَانٍ وَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانٌ النَّبِيُّ إِمَّا إِبْرَاهِيمُ وَإِمَّا المَسِيحُ وَإِمَّا مُحَمَّدٌ وَهَذَا فُلَانٌ الصِّدِّيقُ إِمَّا أَبُو بَكْرٍ وَإِمَّا عُمَرُ وَإِمَّا بَعْضُ الحَوَارِيِّينَ وَهَذَا فُلَانٌ لِبَعْضِ مَنْ يَعْتَقِدُ فِيهِ الصَّلَاحَ إِمَّا جِرْجِسَ (١) أَوْ غَيْرِهِ مِمَّنْ تُعَظِّمُهُ النَّصَارَى وَإِمَّا بَعْضُ شُيُوخِ المُسْلِمِينَ وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا ادَّعَى أَنَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ أَوْ ذَلِكَ الشَّيْخُ أَوِ الصِّدِّيقُ أَوِ القِدِّيسُ.

وَمِثْلُ هَذَا يَجْرِي كَثِيرًا لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى وَكَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَيَرَى أَحَدُهُمْ شَيْخًا يُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ وَيَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ وَيَكُونُ شَيْطَانًا وَأَعْرِفُ مِنْ هَذَا شَيْئًا كَثِيرًا وَأَعْرِفُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَسْتَغِيثُ بِبَعْضِ الشُّيُوخِ الغَائِبِينَ وَالمَوْتَى يَرَاهُ قَدْ أَتَاهُ فِي اليَقَظَةِ وَأَعَانَهُ.

وَقَدْ جَرَى مِثْلُ هَذَا لِي وَلِغَيْرِي مِمَّنْ أَعْرِفُهُ، ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ اسْتَغَاثَ بِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ، وَأَنَّهُ رَآنِي قَدْ جِئْتُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: رَأَيْتُكَ رَاكِبًا بِلِبَاسِكَ وَصُورَتِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: رَأَيْتُكَ عَلَى جَبَلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَخْبَرْتُهُمْ أَنِّي لَمْ أُغِثْهُمْ وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ بِصُورَتِي لِيُضِلَّهُمْ لَمَّا أَشْرَكُوا بِاللهِ وَدَعَوْا غَيْرَ اللهِ.

وَكَذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَعْرِفُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا اسْتَغَاثَ بِهِ بَعْضُ مَنْ يُحْسِنُ بِهِ الظَّنَّ فَرَآهُ قَدْ جَاءَهُ وَقَضَى حَاجَتَهُ، قَالَ صَاحِبِي: وَأَنَا لَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَ ذَلِكَ الشَّخْصِ المُسْتَغِيثِ بِهِ وَيُجِيبُهُ وَتَكُونُ الشَّيَاطِينُ أَسْمَعَتْهُ صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الشَّيْخِ المُسْتَغِيثِ لَهُ فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ بِصَوْتِهِ فَأَسْمَعَتِ المُسْتَغِيثَ صَوْتًا يُشْبِهُ صَوْتَ الشَّيْخِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ صَوْتُ الشَّيْخِ.

---

(١) جرجس قال الطبري: كان فيما ذكر عبدًا لله، صالحًا من أهل فلسطين، ممن أدرك بقايا من حواري عيسى، وكان تاجرًا يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس، ويعود بالفضل على أهل المسكنة، ثم ذكر قصته مع ملك الموصل في زمانه حين وعظه، ونصحه من عبادة الأوثان. فعاقبه على ذلك بالسجن والتعذيب. «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤).

وَهَذَا جَرَى لِمَنْ أَعْرِفُهُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَالَ: بَقِيَ الجِنِّيُّ الَّذِي يُحَدِّثُنِي يُبَلِّغُنِي مِثْلَ صَوْتِ الْمُسْتَغِيثِينَ بِي وَيُبَلِّغُهُمْ مِثْلَ صَوْتِي وَيُرِينِي فِي شَيْءٍ أَبْيَضَ نَظِيرَ مَا أَسْأَلُ عَنْهُ فَأُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ أَنِّي رَأَيْتُهُ وَأَنَّهُ سَيَأْتِي وَلَا أَكُونُ قَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ شَبِيهَهُ.

وَهَكَذَا تَفْعَلُ الجِنُّ بِمَنْ يَعْزِمُ عَلَيْهِمْ وَيُقْسِمُ عَلَيْهِمْ.

وَكَذَلِكَ مَا رَآهُ قُسْطَنْطِينُ مِنَ الصَّلِيبِ الَّذِي رَآهُ مِنْ نُجُومٍ، وَالصَّلِيبَ الَّذِي رَآهُ مَرَّةً أُخْرَى هُوَ مِمَّا مَثَّلَهُ الشَّيَاطِينُ وَأَرَاهُمْ ذَلِكَ لِيُضِلَّهُمْ بِهِ؛ كَمَا فَعَلَتِ الشَّيَاطِينُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ بِعُبَّادِ الأَوْثَانِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ ذَكَرَ أَنَّ المَسِيحَ جَاءَهُ فِي اليَقَظَةِ وَخَاطَبَهُ بِأُمُورٍ؛ كَمَا يُذْكَرُ عَنْ بُولِسَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ صَادِقًا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي رَآهُ فِي اليَقَظَةِ وَقَالَ: إِنَّهُ المَسِيحُ، شَيْطَانًا مِنَ الشَّيَاطِينِ؛ كَمَا جَرَى مِثْلُ ذَلِكَ لِغَيْرِ وَاحِدٍ.

وَالشَّيْطَانُ إِنَّمَا يُضِلُّ النَّاسَ وَيُغْوِيهِمْ بِمَا يَظُنُّ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَهُ فِيهِ فَيُخَاطِبُ النَّصَارَى بِمَا يُوَافِقُ دِينَهُمْ وَيُخَاطِبُ مَنْ يُخَاطِبُ مِنْ ضُلَّالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا يُوَافِقُ اعْتِقَادَهُ وَيَنْقُلُهُ إِلَى مَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ فِيهِ بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ.

وَلِهَذَا يَتَمَثَّلُ لِمَنْ يَسْتَغِيثُ مِنَ النَّصَارَى بِجِرْجِسَ فِي صُورَةِ جِرْجِسَ أَوْ بِصُورَةِ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِهِ النَّصَارَى مِنْ أَكَابِرِ دِينِهِمْ، إِمَّا بَعْضُ البَطَارِكَةِ، وَإِمَّا بَعْضُ المَطَارِنَةِ، وَإِمَّا بَعْضُ الرُّهْبَانِ، وَيَتَمَثَّلُ لِمَنْ يَسْتَغِيثُ بِهِ مِنْ ضُلَّالِ الْمُسْلِمِينَ بِشَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ؛ كَمَا تَمَثَّلَ لِجَمَاعَةٍ مِمَّنْ أَعْرِفُهُمْ فِي صُورَتِي وَفِي صُورَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ ذَكَرُوا فِيَّ ذَلِكَ، وَيَتَمَثَّلُ كَثِيرًا فِي صُورَةِ بَعْضِ الْمَوْتَى تَارَةً يَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ[1]

(١) عبد القادر بن موسى الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي نسبة إلى جيلان وراء طبرستان، ويقال لها جيل. ولد سنة ٤٧١هـ، انتقل إلى بغداد، واتصل بشيوخ العلم، والتصوف، وتفقه في مذهب أحمد على يد ابن عقيل، وأبي الخطاب، وسمع الحديث من جماعة، وتصدر للوعظ والتدريس، وأسس الطريقة القادرية من طرق الصوفية. مات سنة ٥٦١هـ.

وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ أَبُو الحَجَّاجِ الأَقْصُرِيُّ(١)، وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ عَدِيٌّ(٢)، وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ الرِّفَاعِيِّ(٣)، وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا أَبُو مَدْيَنَ المَغْرِبِيُّ، وَإِذَا كَانَ يَقُولُ: أَنَا المَسِيحُ أَوْ إِبْرَاهِيمُ أَوْ مُحَمَّدٌ، فَغَيْرُهُمْ بِطَرِيقِ الأَوْلَى. وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي**» وَفِي رِوَايَةٍ «**فِي صُورَةِ الأَنْبِيَاءِ**»(٤).

فَرُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ فِي المَنَامِ حَقٌّ، وَأَمَّا رُؤْيَةُ المَيِّتِ فِي اليَقَظَةِ فَهَذَا جِنِّيٌّ تَمَثَّلَ فِي صُورَتِهِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ يُسَمِّي هَذَا: رُوحَانِيَّةَ الشَّيْخِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: هِيَ رَفِيقُهُ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يُرَى يَقُومُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَدَعُ فِي مَكَانِهِ صُورَةً مِثْلَ صُورَتِهِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ

---

(١) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم القرشي الأقصري. نسبة إلى الأقصر من صعيد مصر، من كبار الصوفية في عصره، له أتباع ومريدون. ذكروا لأتباعه حكايات تدل على غلوهم فيه، وهي من حيل الشيطان ومخاريقه. مات سنة ٦٤٢هـ.

(٢) عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري نسبة إلى جبة الهكارية من أعمال الموصل، ولد سنة ٤٦٧هـ. ولد في بيت قار من أعمال بعلبك، وجاور بالمدينة، وهو من شيوخ الصوفية، وتنسب إليه طائفة العدوية، كان زاهدًا، عابدًا، أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الوصية الكبرى»، لكن أتباعه خرجوا عن الصواب، وغلوا فيه، ومن أقوالهم فيه: أنه إذا ذكر على موج البحر سكن، وعلى الأسد وقف. نعوذ بالله من الزيغ والضلال. مات سنة ٥٧٧هـ.

(٣) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس. شيخ الطريقة الرفاعية، ولد سنة ٥١٢هـ. بقرية حسن من أعمال واسط، كان شافعي المذهب. وسكن البطائح، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، والطائفة الرفاعية، والبطائحية منسوبة إليه. قال الذهبي: كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق.... مات سنة ٥٧٨هـ.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٥) والطيالسي [٢٤٢٠] وأحمد (٢/ ٣٤٢-٤١٠) والبخاري [٦٩٩٣] ومسلم [٢٢٦٦] وأبو داود [٥١٢٣] والترمذي [٢٢٨٠] وابن ماجه [٣٩٠١] وابن حبان [٦٠٥١]، [٦٠٥٢] والطبراني [٩٥٨] والحاكم (٤/ ٣٩٣) والبيهقي (٧/ ٤٥-٤٦) والبغوي [٨٨٢٢] من طرق عن أبي هريرة.
وفي الباب حديث أبي جحيفة وغيره.

هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ يُرَى فِي مَكَانَيْنِ وَيُرَى وَاقِفًا بِعَرَفَاتٍ وَهُوَ فِي بَلَدِهِ لَمْ يَذْهَبْ فَيَبْقَى النَّاسُ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَائِرِينَ.

فَإِنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ يَعْلَمُ أَنَّ الجِسْمَ الوَاحِدَ لَا يَكُونُ فِي الوَقْتِ الوَاحِدِ فِي مَكَانَيْنِ.

وَالصَّادِقُونَ قَدْ رَأَوْا ذَلِكَ عِيَانًا لَا يَشُكُّونَ فِيهِ، وَلِهَذَا يَقَعُ النِّزَاعُ كَثِيرًا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ؛ كَمَا قَدْ جَرَى ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

وَهَذَا صَادِقٌ فِيمَا رَأَى وَشَاهَدَ، وَهَذَا صَادِقٌ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ العَقْلُ الصَّرِيحُ.

لَكِنَّ ذَلِكَ المَرْئِيَّ كَانَ جِنِّيًّا تَمَثَّلَ بِصُورَةِ الإِنْسَانِ.

وَالحِسِّيَاتُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا عَقْلِيَّاتٌ تَكْشِفُ حَقَائِقَهَا وَإِلَّا وَقَعَ فِيهَا غَلَطٌ كَبِيرٌ.

وَهَذَا القِسْمُ المَشْهُودُ فِي الخَارِجِ غَيْرَ مَا يَتَخَيَّلُهُ الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذَا يَعْرِفُهُ جَمِيعُ النَّاسِ وَيُصَوِّبُهُ جَمِيعُ العُقَلَاءِ يَتَخَيَّلُونَ أَشْيَاءَ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ كَمَا يَتَخَيَّلُهُ النَّائِمُ فِي مَنَامِهِ وَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ مَوْجُودَةً فِي الخَيَالِ لَا فِي الخَارِجِ.

وَالفَلَاسِفَةُ وَسَائِرُ العُقَلَاءِ يَعْتَرِفُونَ بِهَذَا، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الفَلَاسِفَةِ يَظُنُّ أَنَّ مَا رَأَتْهُ الأَنْبِيَاءُ مِنَ المَلَائِكَةِ وَمَا سَمِعَتْهُ مِنَ الكَلَامِ كَانَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ وَيَظُنُّونَ أَنَّ مَا يُرَى مِنَ الجِنِّ هُوَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ وَهَؤُلَاءِ جُهَّالٌ غَالِطُونَ فِي هَذَا، كَمَا جَهِلُوا وَغَلِطُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّ خَوَارِقَ العَادَاتِ سَبَبُهَا قُوًى نَفْسَانِيَّةٌ أَوْ طَبِيعِيَّةٌ أَوْ قُوًى فَلَكِيَّةٌ وَأَنَّ الفَرْقَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالسَّاحِرِ إِنَّمَا هُوَ حُسْنُ قَصْدِ هَذَا، وَفَسَادُ قَصْدِ الآخَرِ، وَإِلَّا فَكِلَاهُمَا خَوَارِقُ سَبَبُهَا قُوًى نَفْسَانِيَّةٌ أَوْ فَلَكِيَّةٌ، وَهَذَا النَّفْيُ بَاطِلٌ؛ كَمَا قَدْ بَسَطْنَا الكَلَامَ عَلَيْهِ وَبَيَّنَّا جَهْلَ هَؤُلَاءِ وَضَلَالَهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ[1].

(١) ألف شيخ الإسلام كتابًا بعنوان «النبوات»، وهو مطبوع فراجعه.

وَالَّذِينَ شَاهَدُوا ذَلِكَ فِي الخَارِجِ وَثَبَتَ عِنْدَهُمْ بِالأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ المُتَوَاتِرَةِ وُجُودُ ذَلِكَ فِي الخَارِجِ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ جَاهِلُونَ ضَالُّونَ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ المَلَائِكَةَ تَظْهَرُ فِي صُورَةِ البَشَرِ؛ كَمَا ظَهَرَتْ لِإِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ وَمَرْيَمَ فِي صُورَةِ البَشَرِ وَكَمَا كَانَ جِبْرِيلُ يَظْهَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ تَارَةً فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ وَتَارَةً فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ وَيَرَاهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عِيَانًا وَمَا فِي خَيَالِ الإِنْسَانِ لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ كَمَا ظَهَرَ إِبْلِيسُ لِلْمُشْرِكِينَ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ النَّجْدِيِّ[1] وَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَلَمَّا رَأَى المَلَائِكَةَ هَرَبَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ قَالَ: تَبَدَّى إِبْلِيسُ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَمَعَهُ رَايَةٌ فِي صُورَةِ رِجَالٍ مِنْ مُدْلِجٍ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ فَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ وَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى إِبْلِيسَ فَلَمَّا رَآهُ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ انْتَزَعَ إِبْلِيسُ يَدَهُ وَوَلَّى مُدْبِرًا هُوَ وَشِيعَتُهُ فَقَالَ: الرَّجُلُ يَا سُرَاقَةُ أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ فَقَالَ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ[2].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ لَمَّا رَأَى المَلَائِكَةَ قَالَ الضَّحَّاكُ: سَارَ الشَّيْطَانُ مَعَهُمْ بِرَايَتِهِ وَجُنُودِهِ وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَغْلِبَكُمْ وَأَنْتُمْ تُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ.

---

(١) راجع تفاصيل هذه القصة في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٧٥) والتعليق عليها بتحقيقي.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٦٢٣٧] وابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٥) بسند فيه انقطاع.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَحْمِلُهُ الجِنُّ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ فَتَحْمِلُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى عَرَفَاتٍ وَغَيْرِ عَرَفَاتٍ وَإِذَا رُئِيَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ يَكُونُ تَارَةً مَحْمُولًا قَدْ حَمَلَتْهُ الجِنُّ وَتَارَةً تَصَوَّرَتْ عَلَى صُورَتِهِ، وَلَا يَكُونُ هَذَا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لَهُمْ كَرَامَاتٌ بَلْ قَدْ يَكُونُ مِنَ الكَافِرِينَ أَوِ الفَاسِقِينَ وَأَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ قَضَايَا كَثِيرَةً لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ تَفْصِيلِهَا.

وَعِنْدَ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ يَظُنُّونَهُ مِنْ جِنْسِ الآيَاتِ الَّتِي لِلْأَنْبِيَاءِ.

إِنَّمَا هِيَ مِنْ جِنْسِ مَا لِلسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ وَمَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ وَبَيْنَ خَوَارِقِ السَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ وَمَنْ تَقْتَرِنُ بِهِمُ الشَّيَاطِينُ وَإِلَّا التَبَسَ عَلَيْهِ الحَقُّ بِالبَاطِلِ فَإِمَّا أَنْ يُكَذِّبَ بِالحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُونَ وَإِمَّا أَنْ يُصَدِّقَ بِالبَاطِلِ الَّذِي يَقُولُهُ: الكَاذِبُونَ وَالغَالِطُونَ.

وَهَذِهِ الأُمُورُ مَبْسُوطَةٌ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَالمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى هَذَا الأَصْلِ، وَعُلَمَاءُ النَّصَارَى يُسَلِّمُونَ هَذَا وَعِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ حِكَايَاتِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الَّذِينَ عَارَضَهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَبْطَلُوا أَحْوَالَهُمْ كَمَا أَبْطَلَ مُوسَى - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - مَا عَارَضَتْهُ بِهِ السَّحَرَةُ مِنَ الخَوَارِقِ، كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَاةِ[1] وَكَمَا يَذْكُرُونَهُ عَنْ فُلَانٍ

---

(١) وردت قصة انتصاره على السحرة في التوراة: سفر الخروج، الإصحاح الرابع فقرة [١-٩] حين ألقى العصا فانقلبت بأمر الله حية، وأدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج، وأخذ من ماء النهر ماء ثم وضعه على اليابسة ليكون دمًا.
أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه في مواضع متعددة منها سورة طه من آية [٦٠-٧٣]؛ وسورة الشعراء من [٣٦-٥١]، وغيرها.

وَفُلَانٍ، مِثْلِ حِكَايَةِ سِيمُونَ السَّاحِرِ[١] مَعَ الحَوَارِيِّينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِذَا كَانَ هَذَا مَعْلُومًا كَانَ مَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ هَذَا الجِنْسِ، إِذَا كَانَ مُخَالِفًا لِمَا ثَبَتَ عَنِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحْتَجَّ بِهِ عَلَى مَا يُخَالِفُ شَرَائِعَ الأَنْبِيَاءِ الثَّابِتَةَ عَنْهُمْ بَلْ هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الدَّجَّالِ الكَبِيرِ الَّذِي أَنْذَرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ حَتَّى نُوحٌ أَنْذَرَ قَوْمَهُ وَقَالَ خَاتَمُ الرُّسُلِ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ حَتَّى نُوحٌ أَنْذَرَ قَوْمَهُ وَسَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِأُمَّتِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ (ك ف ر) يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَارِئٍ وَغَيْرِ قَارِئٍ**» وَقَالَ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**»[٢].

وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّ المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَسِيحَ الهُدَى يَنْزِلُ إِلَى الأَرْضِ عَلَى المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ[٣] وَهَذَا هُوَ الَّذِي تَنْتَظِرُهُ اليَهُودُ وَيَجْحَدُونَ المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَقُولُونَ هَذَا هُوَ الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ وَيَتْبَعُهُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا مُطَيْلَسِينَ[٤] وَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ شَرَّ قِتْلَةٍ حَتَّى يَقُولَ

---

(١) جاءت حكاية سيمون الساحر في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثامن فقرة [٩-٢٤] انظر: الإنجيل (كتاب الحياة - ترجمة تفسيرية) ص [١٦٨] (ط دار العلم العربي - القاهرة ١٩٨٣)؛وانظره في الكتاب المقدس - العهد الجديد ص [٢٠٣]، ط دار حلمي، وسيمون: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه «كان يدهش شعب السامرة بسحره فكانوا يقولون أن سحره شيء عظيم.. ثم ذكر أنه آمن عندما التقى بالمبشر فيلبس، ولم ينشأ إيمانه عن توبة...، وهم يطلقون اسم اليمونية على كل من يتاجر في الوظائف الكنيسة، وقد كان له أتباع اسمهم السيمونيون اعتبروا سيمون مسيحهم وفاديهم....».
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص [٤٩٧]، تأليف نخبة من أساتذة اللاهوت ط٢ عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

(٢) سبق تخريج بعضها، وراجع هذه الأحاديث بالتفصيل في النهاية في «الفتن» بتحقيقي.

(٣) سبق تخريج بعضها، وراجع هذه الأحاديث بالتفصيل في النهاية في «الفتن» بتحقيقي.

(٤) سبق تخريج بعضها، وراجع هذه الأحاديث بالتفصيل في النهاية في «الفتن» بتحقيقي.

الشَّجَرُ وَالحَجَرُ: «**يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي تَعَالَ اقْتُلْهُ**»(١). وَكُلُّ هَذَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلِهَذَا أَمَرَ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِهِ فَقَالَ: «**إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي التَّشَهُّدِ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٢).

وَالأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ أَنْذَرُوا بِالكَذَّابِينَ الَّذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بِالأَنْبِيَاءِ لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَعَمَّدُ الكَذِبَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَتَعَمَّدُ بَلْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ فَيَغْلَطُ فَيُخْبِرُ بِمَا يَظُنُّهُ حَقًّا وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَيَرَى فِي اليَقَظَةِ مَا يَظُنُّهُ فُلَانًا الوَلِيَّ أَوِ النَّبِيَّ ﷺ أَوِ الخَضِرَ وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ.

وَالغَلَطُ جَائِزٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ، لَا يُقِرُّونَ عَلَى خَطَأٍ، فَمَنْ لَمْ يَزِنْ عُلُومَهُ وَأَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ بِالمَعْلُومِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَإِلَّا كَانَ ضَالًّا فَنَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

وَالمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الكِتَابِ مُتَّفِقُونَ عَلَى إِثْبَاتِ مَسِيحَيْنِ: مَسِيحِ هُدًى مِنْ وَلَدِ دَاوُدَ وَمَسِيحِ ضَلَالٍ. يَقُولُ أَهْلُ الكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ يُوسُفَ وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَسِيحَ الهُدَى سَوْفَ يَأْتِي كَمَا يَأْتِي مَسِيحُ الضَّلَالَةِ. لَكِنِ المُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ: مَسِيحُ الهُدَى هُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَإِنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، ثُمَّ يَأْتِي مَرَّةً ثَانِيَةً لَكِنِ المُسْلِمُونَ يَقُولُونَ أَنَّهُ يَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ وَلَا يَبْقَى دِينٌ إِلَّا دِينَ الإِسْلَامِ وَيُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ الكِتَابِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٥٩].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) خرجته مطولًا في «الفتن» المجلد الأول فليراجع.

وَالقَوْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الجُمْهُورُ قَبْلَ مَوْتِ المَسِيحِ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

وَأَمَّا النَّصَارَى فَتَظُنُّ أَنَّهُ اللهُ وَأَنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ لِحِسَابِ الخَلَائِقِ وَجَزَائِهِمْ وَهَذَا مِمَّا ضَلُّوا فِيهِ وَاليَهُودُ تَعْتَرِفُ بِمَجِيءِ مَسِيحِ هُدًى يَأْتِي لَكِنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مَسِيحَ هُدًى لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ جَاءَ بِدِينِ النَّصَارَى المُبْدَلِ وَمَنْ جَاءَ بِهِ فَهُوَ كَاذِبٌ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ المَسِيحَيْنِ.

❁❁❁

obeikandl.com

فَصْلٌ

الخوارق التي يضل بها الشياطين أبناء آدم

وَالخَوَارِقُ الَّتِي تُضِلُّ بِهَا الشَّيَاطِينُ لِبَنِي آدَمَ مِثْلُ تَصَوُّرِ الشَّيْطَانِ بِصُورَةِ شَخْصٍ غَائِبٍ أَوْ مَيِّتٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ، ضَلَّ بِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَوْ إِلَى أَهْلِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ وَهُمْ بَنوا ذَلِكَ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ.

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ مَنْ ظَهَرَتْ هَذِهِ عَلَى يَدَيْهِ فَهُوَ وَلِيٌّ للهِ، وَبِلُغَةِ النَّصَارَى: هُوَ قِدِّيسٌ عَظِيمٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ فَهُوَ مَعْصُومٌ فَكُلُّ مَا يُخْبِرُ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَكُلُّ مَا يَأْمُرُ بِهِ فَهُوَ عَدْلٌ وَقَدْ لَا يَكُونُ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ خَوَارِقُ لَا رَحْمَانِيَّةٌ وَلَا شَيْطَانِيَّةٌ، وَلَكِنْ صَنَعَ حِيلَةً مِنْ حِيَلِ أَهْلِ الكَذِبِ وَالفُجُورِ، وَحِيَلُ أَهْلِ الكَذِبِ وَالفُجُورِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فَيُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ العَجَائِبِ الخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ وَلَا يَكُونُ كَذَلِكَ مِثْلَ الحِيَلِ المَذْكُورَةِ عَنِ الرُّهْبَانِ.

وَقَدْ صَنَّفَ بَعْضُ النَّاسِ مُصَنَّفًا فِي حِيَلِ الرُّهْبَانِ مِثْلِ الحِيلَةِ المَحْكِيَّةِ عَنْ أَحَدِهِمْ فِي جَعْلِ المَاءِ زَيْتًا بِأَنْ يَكُونَ الزَّيْتُ فِي جَوْفِ مَنَارَةٍ فَإِذَا نَقَصَ صَبَّ فِيهَا مَاء فَيَطْفُو الزَّيْتُ عَلَى المَاءِ فَيَظُنُّ الحَاضِرُونَ أَنَّ نَفْسَ المَاءِ انْقَلَبَ زَيْتًا.

وَمِثْلِ الحِيلَةِ المَحْكِيَّةِ عَنْهُمْ فِي ارْتِفَاعِ النَّخْلَةِ وَهُوَ أَنَّ بَعْضَهُمْ مَرَّ بِدَيْرِ رَاهِبٍ وَأَسْفَلُ مِنْهُ نَخْلَةٌ فَأَرَاهُ النَّخْلَةَ صَعِدَتْ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّى حَاذَتِ الدَّيْرَ فَأَخَذَ مِنْ رُطَبِهَا، ثُمَّ نَزَلَتْ حَتَّى عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، فَكَشَفَ الرَّجُلُ الحِيلَةَ فَوَجَدَ النَّخْلَةَ فِي سَفِينَةٍ فِي مَكَانٍ مُنْخَفِضٍ إِذَا أَرْسَلَ عَلَيْهِ المَاءَ امْتَلَأَ حَتَّى تَصْعَدَ السَّفِينَةُ وَإِذَا صَرَّفَ المَاءَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ هَبَطَتِ السَّفِينَةُ.

وَمِثْلِ الحِيلَةِ المَحْكِيَّةِ عَنْهُمْ فِي التَّكَحُّلِ بِدُمُوعِ السَّيِّدَةِ يَضَعُونَ كُحْلًا فِي مَاءٍ مُتَحَرِّكٍ حَرَكَةً لَطِيفَةً فَيَسِيلُ حَتَّى يَنْزِلَ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ فَيَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهَا فَيُظَنُّ أَنَّهُ دُمُوعٌ.

وَمِثْلِ الحِيلَةِ الَّتِي صَنَعُوهَا بِالصُّورَةِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا القُونَةَ(١) بِصِيدْنَايَا وَهِيَ أَعْظَمُ مَزَارَاتِهِمْ بَعْدَ القُمَامَةِ وَبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ المَسِيحُ وَحَيْثُ قُبِرَ، فَإِنَّ هَذِهِ صُورَةُ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ، وَأَصْلُهَا خَشَبَةُ نَخْلَةٍ سُقِيَتْ بِالأَدْهَانِ حَتَّى تَنَعَّمَتْ وَصَارَ الدُّهْنُ يَخْرُجُ مِنْهَا دُهْنًا مَصْنُوعًا يُظَنُّ أَنَّهُ مِنْ بَرَكَةِ الصُّورَةِ.

وَمِنْ حِيَلِهِمُ الكَثِيرَةِ النَّارُ الَّتِي يَظُنُّ عَوَامُّهُمْ أَنَّهَا تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي عِيدِهِمْ فِي قُمَامَةٍ وَهِيَ حِيلَةٌ قَدْ شَهِدَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَرَأَوْهَا بِعُيُونِهِمْ أَنَّهَا نَارٌ مَصْنُوعَةٌ يُضِلُّونَ بِهَا عَوَامَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهَا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ وَيَتَبَرَّكُونَ بِهَا وَإِنَّمَا هِيَ صَنْعَةُ صَاحِبِ مِحَالٍ وَتَلْبِيسٍ.

---

(١) هكذا في جميع النسخ (القونة) ولعل المراد بها (الأيقونة)، والأيقونة كلمة يونانية أو قبطية الأصل ويقصد بها صورة دينية، وهي تشمل صور السيد المسيح، أو السيدة العذراء، أو الحواريين، أو الرسل، أو الشهداء، أو القديسيين، وغير ذلك من الموضوعات الدينية التي وردت في التوراة والإنجيل أو في تاريخ الكنيسة وهي من العناصر الأساسية في العبادة عند النصارى؛ قالوا: لأنها تنقل بواسطة الرسم، والألوان البشارة عينها التي أعلنها الله للكنيسة، والتي حفظت في ضميرها، وعبر عنها التقليد الشريف، ونقلها الكتاب المقدس، قلت: وهم يعظمون الأيقونات أي – الصور للسيد المسيح ومريم العذراء، وآباء الكنائس ويوجبون وضعها في الكنيسة، والبيوت، والطرقات؛ قالوا لأن تأمل الأيقونة يبعث فيهم قوة تحثهم على تكريم من ترمز إليه الأيقونة، وهذا في الحقيقة عبادة للصور وإن زعموا أنهم لا يعنون بذلك عبادتها كما ورد في كتبهم على ألسنة آبائهم، ورهبانهم الذين اتخذوا أربابًا من دون الله.
انظر: كتاب «الأيقونات القبطية» للدكتور رؤوف حبيب ص [١]؛ والكتاب كله مليء بنماذج وصور، وفيه حديث عن الأيقونات كلها؛ وكتاب «الرؤية الأرثوذكسية» لوالدة الإله ص [٧٧-٩٤] والكتاب لمجموعة من المؤلفين؛ و«المظاهر الرائعة للفنون القبطية» للدكتور رؤوف حبيب.

وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ حِيَلِ النَّصَارَى فَجَمِيعُ مَا عِنْدَ النَّصَارَى الْمُبَدِّلِينَ لِدِينِ الْمَسِيحِ مِنَ الْخَوَارِقِ إِمَّا حَالٌ شَيْطَانِيٌّ وَإِمَّا مِحَالٌ بُهْتَانِيٌّ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ.

وَكَذَلِكَ أَهْلُ الإِلْحَادِ الْمُبَدِّلِينَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ دِينًا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَيَجْعَلُونَهُ طَرِيقًا إِلَى اللهِ وَقَدْ يَخْتَارُونَهُ عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ، مِثْلُ أَنْ يَخْتَارُوا سَمَاعَ الدُّفُوفِ وَالشَّبَّابَاتِ عَلَى سَمَاعِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ يَحْصُلُ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الوَجْدِ وَالغَرَامِ الشَّيْطَانِيِّ مَا يَلْبِسُهُ مَعَهُ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَحَدِهِمْ بِكَلَامٍ لَا يَعْرِفُهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ إِذَا أَفَاقَ؛ كَمَا يَتَكَلَّمُ الجِنِّيُّ عَلَى لِسَانِ المَصْرُوعِ وَقَدْ يُخْبِرُ بَعْضَ الحَاضِرِينَ بِمَا فِي نَفْسِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا فَارَقَ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ الشَّخْصَ لَمْ يَدْرِ مَا قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُهُ الشَّيْطَانُ وَيَصْعَدُ بِهِ قُدَّامَ النَّاسِ فِي الهَوَاءِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُشِيرُ إِلَى بَعْضِ الحَاضِرِينَ فَيَمُوتُ أَوْ يَمْرَضُ أَوْ يَصِيرُ مِثْلَ الخَشَبَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُشِيرُ إِلَى بَعْضِ الحَاضِرِينَ فَيَلْبَسُهُ الشَّيْطَانُ وَيَزُولُ عَقْلُهُ حَتَّى يَبْقَى دَائِرًا زَمَانًا طَوِيلًا بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ وَيَأْكُلُهَا وَيَبْقَى لَهَبُهَا فِي بَدَنِهِ وَشَعْرِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تُحْضِرُ لَهُ الشَّيَاطِينُ طَعَامًا أَوْ شَيْئًا مِنْ لَادِنٍ(١) أَوْ سُكَّرٍ أَوْ زَعْفَرَانَ أَوْ مَاءِ وَرْدٍ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْتِيهِ بِدَرَاهِمَ تَسْرِقُهَا الشَّيَاطِينُ مِنْ بَعْضِ المَوَاضِعِ.

ثُمَّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ إِذَا فَرَّقَ الدَّرَاهِمَ عَلَى الحَاضِرِينَ أُخِذَتْ مِنْهُمْ فَلَا يُمَكَّنُونَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا إِلَى أُمُورٍ يَطُولُ وَصْفُهَا وَآخَرُونَ لَيْسَ لَهُمْ مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَيَصْنَعُونَ حِيَلًا وَمَخَارِيقَ.

---

(١) اللادن: جاء في المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر (حرف اللام) بأنه «شيء من رطوبة يدبق بيد اللامس. يكون على شجرة القيسوس، فترعاه المعز، فتلزق الرطوبة على أفخاذها ولحاها، ومن الناس من يأخذه فيصفيه، ويعمل منه أقراصًا. ثم ذكر فوائده وأطال فيه».

فَالْمُلْحِدُونَ الْمُبَدِّلُونَ لِدِينِ الرُّسُلِ، دِينِ الْمَسِيحِ أَوْ دِينِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - هُمْ كَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الإِلْحَادِ وَالضُّلَّالِ الْكُفَّارِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَنَحْوِهِمْ كَمُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ وَالأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ وَالْحَارِثِ الدِّمَشْقِيِّ وَبَابَا الرُّومِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَهُمْ خَوَارِقُ شَيْطَانِيَّةٌ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْحِيَلِ فَيَكْثُرُونَ وَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَ اللهِ بَلْ خَوَارِقُهُمْ إِذَا كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً مِنْ جِنْسِ خَوَارِقِ الْكَهَنَةِ وَالسَّحَرَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَالٌ شَيْطَانِيٌّ بَلْ مَحَالٌ بُهْتَانِيٌّ فَهُمْ مُتَعَمِّدُونَ لِلْكَذِبِ وَالتَّلْبِيسِ بِخِلَافِ مَنْ تَقْتَرِنُ بِهِ الشَّيَاطِينُ، فَإِنَّ فِيهِمْ مَنْ يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ فَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ؛ كَمَا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَيَفْعَلُهُ لِتَحْصِيلِ أَغْرَاضِهِ، فَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَوَارِقِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَوْ يَكُونُ حِيَلًا وَمَخَارِيقَ وَيَظُنُّ أَنَّهَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّ مَا يَكُونُ شَبِيهَ الشِّرْكِ أَوِ الْفُجُورِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ، مِثْلُ أَنْ يُشْرِكَ الرَّجُلُ بِاللهِ فَيَدْعُو الْكَوَاكِبَ أَوْ يَدْعُو مَخْلُوقًا مِنَ الْبَشَرِ مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا أَوْ يَعْزِمُ وَيُقْسِمُ بِأَسْمَاءٍ مَجْهُولَةٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا أَوْ يَعْرِفُ أَنَّهَا أَسْمَاءُ الشَّيَاطِينِ أَوْ يَسْتَعِينُ بِالْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، فَإِنَّ مَا كَانَ هَذَا سَبَبُهُ مِنَ الْخَوَارِقِ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ كَمَا قَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ كَرَامَاتٌ مِثْلُ كَرَامَاتِ صَالِحِي هَذِهِ الأُمَّةِ وَمِثْلُ كَرَامَاتِ الْحَوَارِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ لَكِنْ وُجُودُ الْكَرَامَاتِ عَلَى أَيْدِي الصَّالِحِينَ لَا تُوجِبُ أَنْ يَكُونُوا مَعْصُومِينَ كَالأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ يَكُونُ الرَّجُلُ صَالِحًا وَلِيًّا للهِ وَلَهُ كَرَامَاتٌ وَمَعَ هَذَا فَقَدْ يَغْلَطُ وَيُخْطِئُ فِيمَا يَظُنُّهُ أَوْ فِيمَا يَسْمَعُهُ وَيَرْوِيهِ أَوْ فِيمَا يَرَاهُ أَوْ فِيمَا يَفْهَمُهُ مِنَ الْكُتُبِ وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ مَنْ سِوَى الأَنْبِيَاءِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِمْ: وَيُتْرَكُ بِخِلَافِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّهُ يَجِبُ تَصْدِيقُهُمْ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْغَيْبِ، وَطَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ وَلِهَذَا أَوْجَبَ اللهُ الإِيمَانَ بِمَا أُوتُوهُ وَلَمْ يُوجِبِ الإِيمَانَ بِجَمِيعِ مَا يَأْتِي بِهِ غَيْرُهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البَقَرَة:١٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البَقَرَة:١٧٧].

وَهَذَا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ كَذَّبَ نَبِيًّا مَعْلُومَ النُّبُوَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ وَمَنْ سَبَّ نَبِيًّا وَجَبَ قَتْلُهُ بَلْ يَجِبُ الإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا أُوتِيَهُ النَّبِيُّونَ كُلُّهُمْ وَأَنْ لَا نُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَنُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النِّسَاء:١٥٠-١٥١].

وَلَيْسَ هَذَا لِأَحَدٍ غَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رُسُلِ الأَنْبِيَاءِ وَكَانُوا مِنْ أَعْظَمِ الصِّدِّيقِينَ الْمُقَدَّمِينَ.

فَضَلَالُ الضُّلَّالِ مِنْ هَؤُلَاءِ مَبْنِيٌّ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ هَذَا لَهُ كَرَامَةٌ فَيَكُونُ وَلِيًّا للهِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ وَلِيَّ اللهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُخْطِئَ بَلْ يَجِبُ تَصْدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ البَشَرِ أَنْ يُصَدَّقَ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ وَيُطَاعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا.

وَالْمُقَدِّمَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ قَدْ تَكُونُ إِحْدَاهُمَا بَاطِلَةً وَقَدْ يَكُونُ كِلَاهُمَا بَاطِلًا، فَالرَّجُلُ الْمُعَيَّنُ قَدْ لَا يَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَكُونُ خَوَارِقُهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الخَطَأُ وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ خَوَارِقُ، وَلَكِنْ لَهُ مِحَالَاتٌ وَأَكَاذِيبُ.

فَصْلٌ

قَالُوا: وَقَالَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

فَأُعْنِيَ أَيْضًا بِالكِتَابِ المُنِيرِ الَّذِي هُوَ الإِنْجِيلُ المُقَدَّسُ.

فَيُقَالُ: قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الرُّسُلَ تَتَنَاوَلُ قَطْعًا الرُّسُلَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِي القُرْآنِ لَا سِيَّمَا أُولُو العَزْمِ كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - خَصَّهُمُ اللهُ وَفَضَّلَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧-٨].

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فَالدِّينُ دِينُ رُسُلِ اللهِ دِينٌ وَاحِدٌ؛ كَمَا بَيَّنَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ وَأَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لَأَنَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»(١).

وَيَتَنَاوَلُ أَيْضًا اسْمَ الرُّسُلِ مَنْ لَمْ يُسَمِّهِمْ بِأَعْيَانِهِمْ فِي القُرْآنِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

(١) سبق تخريجه.

تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨].

وَأَمَّا الحَوَارِيُّونَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَهُمْ فِي القُرْآنِ وَوَصَفَهُمْ بِالإِسْلَامِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ وَبِالإِيمَانِ بِاللهِ؛ كَمَا أَنْزَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤].

وَلَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى فِي القُرْآنِ أَنَّهُ أَرْسَلَهُمُ البَتَّةَ بَلْ ذَكَرَ أَنَّهُ أَلْهَمَهُمُ الإِيمَانَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَنَّهُمْ أُمِرُوا بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾.

لَا يَدُلُّ عَلَى النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧].

وَأُمُّ مُوسَى لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً بَلْ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ؛ كَمَا تَقُولُهُ عَامَّةُ النَّصَارَى وَالْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ إِجْمَاعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِثْلُ القَاضِيَيْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ وَأَبِي يَعْلَى بْنِ أَبِي الفَرَّاءِ وَالأُسْتَاذِ أَبِي المَعَالِي الجُوَيْنِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يُوسُف:١٠٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المَائِدَة:٧٥].

فَجَعَلَ غَايَةَ مَرْيَمَ الصِّدِّيقِيَّةَ؛ كَمَا جَعَلَ غَايَةَ المَسِيحِ الرِّسَالَةَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ**»(١) يَعْنِي مِنْ نِسَاءِ الأُمَمِ قَبْلَنَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمَّ مُوسَى لَيْسَتْ مِمَّنْ كَمُلَ مِنَ النِّسَاءِ فَكَيْفَ تَكُونُ نَبِيَّةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آلعِمْرَان:١٨٤].

وَالكِتَابُ اسْمُ جِنْسٍ كَمَا تَقَدَّمَ يَتَنَاوَلُ كُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحَجّ:٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ المَعْنَى فَيَعُمُّ كُلَّ كِتَابٍ مُنِيرٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الإِنْجِيلَ لَقِيلَ وَلَا الكِتَابِ المُنِيرِ، وَأَيْضًا فَالتَّوْرَاةُ أَعْظَمُ مِنَ الإِنْجِيلِ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ أَنَّهُ لَمْ يُنْزِلْ كِتَابًا أَهْدَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القَصَص:٤٨-٤٩].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٤-٤٠٩) وفي «فضائل الصحابة» [١٦٣٢] وابن أبي شيبة (١٢/ ١٢٨) والبخاري [٣٤١١]، [٣٤٣٣]، [٥٤١٨] ومسلم [٢٤٣١] والنسائي (٧/ ٦٨) وفي «فضائل الصحابة» [٢٤٨]، [٢٧٥] والطبراني (٢٣/ ١٠٦) وابن حبان [٧١٤٤] والبغوي [٣٩٦٢] من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الأشعري، به.

وَهَـذَا تَعْجِيزٌ لَهُـمْ أَنْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْـدَى مِنْهُمَا كَقَوْلِهِ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يُونُس: ٣٨].

وَهَـذَا يُبَيِّنُ أَنَّـهُ لَيْسَ الإِنْجِيلُ وَلَا الزَّبُـورُ أَهْدَى مِنَ التَّوْرَاةِ وَالقُـرْآنِ فَكَيْفَ يُجْعَلُ الكِتَابُ المُنِيرُ هُوَ الإِنْجِيلُ دُونَ التَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ.

وَأَيْضًـا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَخُصُّ بِالذِّكْرِ مِـنَ الكُتُبِ المُتَقَدِّمَةِ التَّوْرَاةَ دُونَ غَيْرِهَا فَهِيَ الَّتِـي يُقْرِنُهَا بِالقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأَنْعَام: ٩١-٩٢].

وَقَـدْ وَصَـفَ التَّوْرَاةَ بِـأَنَّ فِيهَا نُورًا وَهُدًى لِلنَّـاسِ فَكَيْفَ يَجْعَلُ النُّـورَ فِي الإِنْجِيلِ دُونَهَـا وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٤-١٥٦].

فَقَدْ ذَكَرَ التَّوْرَاةَ وَالقُرْآنَ، وَقَوْلُهُمْ أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا فَبَيَّنَ أَنَّ الكِتَابَ اسْمُ جِنْسٍ يَتَنَاوَلُ هُنَا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

وَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المَائِدَة: ٥].

فَذَكَرَ الكِتَابَ بِلَفْظِ المُفْرَدِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ أَرَادَ بِالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَخْتَصُّ ذَلِكَ بِالنَّصَارَى؛ كَمَا قَالَ: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾.

وَقَدْ تَبَيَّنَ بُطْلَانُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيُفَسِّرُونَ كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ بِمَا يَعْلَمُ كُلُّ مَنْ عَرَفَ حَالَهُ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْهُ.

وَبَيَّنَ أَنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ بِالكِتَابِ الإِنْجِيلَ وَحْدَهُ؛ كَمَا لَمْ يُرِدْ بِالرُّسُلِ الحَوَارِيِّينَ بَلْ أَرَادَ بِالكِتَابِ المُنِيرِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ الكُتُبِ كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ؛ كَمَا أَرَادَ بِالرُّسُلِ مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ مُطْلَقًا كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَالمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ أَجْمَعِينَ-.

❁❁❁

openkandil.com